عوض القرني

عوض القرني
أسئلة الحداثة

س: شهدت الساحة الثقافية والأدبية السعودية معركة شرسة بينكم وبين "تيار الحداثة" السعودي بسبب كتابكم "الحداثة في ميزان الإسلام". ما الذي حملكم للدخول في مثل هذه المعركة؟ وما هي الخلفيات التي أسهمت في نشوب تلك المعركة؟

ج: لقضية الحداثة ذكريات عديدة في نفسي، بعضها مريرة وبعضها في غاية البهجة والسرور. فقبل عشرين عاماً بدأت هذه القضية تبرز لدينا في ساحات الصحافة والمنابر الأدبية والإعلامية المختلفة، وتنبهنا من خلال المتابعة إلى جذور هذا الفكر والجهات التي تمده والفلسفات التي ينطلق منها، وابتدأنا محاولات الحوار واعتبرنا أنا وأمثالي أن جماعة "تيار الحداثة" هم من أبناء وطننا، واعتقدنا أن الفكر الذي يدعون إليه هو فكر دخيل، وأنه إذا كشفنا لهم الحقائق سيتخلون عنه. لكن عندما بدأنا الحوار اكتشفنا التشنج والإقصاء والاستهزاء والسخرية وعدم القبول بالحوار أصلاً باعتبار أن القضية محسومة ومنتهية، وهذا ما أكدته لنا الأحداث فيما بعد عندما قالوا ذلك عن أنفسهم، وبدأت المواجهة من جانبنا في الارتفاع والتسخين، وكان هؤلاء يسيطرون آنذاك على أغلبية المنابر الأدبية، باستثناء جريدة "الندوة" التي كانت تقف في وجوههم بأقلام مليباري - رحمه الله - وسهيلة زين العابدين والمفرجي وأمثالهم. وكذلك الشأن في المنابر الأدبية عدا الأدبي في مكة إذ كانوا يسيطرون على معظم الأندية وإن كانت لم تبسط مثل هذه الأندية على كل مدن المملكة.

وفي إحدى الأمسيات بنادي أبها الأدبي حضرها الدكتور فهد العرابي الحارثي وهيئة تحرير "اليمامة" صالح الصالح ومحمد جبر الحربي وصالح العزاز وسواهم من رموز الحداثة كإدريس إدريس وكان حاضراً معنا بكر بصفر وعلي التمني وعدد من المشايخ. فطلبنا المداخلة والحوار فلم تتح لنا الفرصة، ووقف رئيس النادي الأدبي في وجوهنا بقوة (.. محمد الحميّد في ذلك الوقت) والذي

حدث آنذاك كان هياجاً لا حواراً، وكان ذلك في أعقاب نشر الحربي لقصيدة المفردات الشهيرة في جريدة "اليمامة" التي كان عليها بعض الملاحظات الشرعية من وجهة نظرنا (أنا لا أذكر التاريخ الآن لكنه قبل أزمة الخليج). عدت بعد ذلك وعزمت على إخراج كتاب الحداثة. وفوجئت بأن زميلي الشيخ سعيد الغامدي قد عاد وبدأ في إعداد شريط الحداثة الشهير. وكان لدي أرشيف أجمع فيه منذ سنوات، فلم يستدع مني الأمر أكثر من تسع عشرة ليلة اعتكفت فيها على ترتيب المعلومات وتنسيقها وإخراج الكتاب. ثم حدثت الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عن الكتاب فقرئ عليه قراءة مستفيضة لمدة سنة، ثم كتب له المقدمة ونزل الكتاب.

س: ما الذي أحدثه هذا الكتاب من تأثيرات على الساحة الفكرية؟

ج: ظني بعد عدة سنوات من تلك الأحداث أن الذي تحقق هو الأمور التالية:

أولاً : لقد أحدث صدور الكتاب والشريط وما تبعهما من مقالات دوياً هائلاً وأثراً بالغاً في الساحة الفكرية، وهذا يدل على مدى الحاجة إلى مثل هذا الطرح.

ثانياً: إن أهم ما حققه الكتاب في نظري من توعية الناس عموماً وطلبة العلم وشباب الصحوة خصوصاً بخطورة الفكر التغريبي العلماني في مجتمعنا ورموز هذا الفكر ووسائله ومسارب تغذيته بعوامل البقاء.

ثالثاً: قامت الصحافة الإسلامية بالتعريف بالكتاب وتقديم الدراسات عنه على امتداد الساحة العالمية.

رابعاً: وبالمقابل قامت الصحافة العلمانية وخاصة اليسارية في لندن والقاهرة والكويت وصنعاء بالهجوم على الكتاب وكاتبه وبالهجوم على الشيخ عبد العزيز بن باز بسبب تبنيه لهذا الكتاب.

أيضاً وصلتني مئات الرسائل من العلماء والأدباء والمفكرين المؤيدة للكتاب والمطالبة بإعادة نشره. وممن أذكرهم من هؤلاء الشيخ محمد بن صالح العثيمين والدكتور عبد الله نصيف والدكتور محمد عبده يماني، الدكتور مانع الجهني، والدكتور عبد الله الطيار.

وهناك أمر مهم لعله يكشف عن حقيقة الفكر الحداثي وأخلاقياته في الحوار الثقافي، حيث وصلتني رسائل تهديد بالتصفية الجسدية من عدد من الحداثيين، وما زلت أحتفظ بها إلى الآن. طبعاً الرسائل تم توقيعها تحت أسماء وهمية أو رموز مثل: محمود درويش وحسين مروة وأمثالهما من الشيوعيين، وأيضاً قام الحداثيون بتوزيع العديد من المنشورات في البلد ضد الكتاب، منها منشور باسم محمد العلي عنوانه (العقول المستطرقة) ثم نشره بعد ذلك في جريدة الوطن الكويتية بعنوان (حوار ملتهب مع كاتب بارد) وأيضاً منشور آخر بعنوان (الحداثة في ميزان القرني) ومنشور باسم عبد الله الزيد عندما كان مع الحداثيين.

والواقع أن الحداثيين تفككوا في خاتمة المطاف، ونال بعضهم من بعض، وأعلن بعض منهم تراجعه لكن بعضهم الآخر مازال يحمل فكر الحداثة، بيد أن الأمة توعت وتنبهت لخطورتها.

س: بالرغم من كل هذه الإيضاحات، ما تزال علامات الاستفهام تحلّق في أذهان الكثيرين الذين يستغربون دخولكم مثل هذه المعركة فهي في الأساس تخص الأدباء والمفكرين، وأنتم طلبة علم شرعي؛ مما يعني أنها بعيدة عن مجال تخصصكم، لماذا أقحمتم الدين في الأدب كما يقول خصومكم؟!

ج: في ديننا الإسلامي، يا أخي الكريم، رفض واضح للمصطلح النصراني القائل بأن "ما لله لله وما لقيصر لقيصر". والإسلام ينبغي أن يكون الإطار والحكم على جميع الممارسات الحياتية في الفكر والنظم والسلوك والأخلاق والشعائر والتشريعات وجميع الجوانب المختلفة. ومن فضل الله سبحانه وتعالى أن هذه البلاد تعيش في ظل الإسلام وتؤمن بهذا المبدأ الإسلامي الأصيل، وهو أن الإسلام يجب أن يهيمن على جميع جوانب الحياة المختلفة، والذي يتأمل في سير أسلافنا أيام كانت الحضارة الإسلامية هي الحضارة السائدة في العالم يجد أن رجل الدين بالمفهوم النصراني الضيق ما كان موجوداً في حضارتنا.. وأن العالم

الشرعي يؤلف في الاقتصاد وفي السياسة وفي التربية وفي الأدب وجميع الجوانب المختلفة. ومن هذا المنطلق كان اهتمامي بالأدب وقضاياه. ومن ناحية ثانية فإن الأدب له جانبان، جانب الشكل والصيغ والأساليب التي يقدم بها الأدب وهي قضية الأدباء، وقد يكون الشرعي يحمل الموهبة الأدبية شعراً أو نثراً أو نقداً فالأدب أصلاً موهبة قبل أن يكون دراسة وتعلماً، فيشارك فيها الشرعي من هذا الباب إن كان يحمل الموهبة. وقد يكون أيضاً لا يحمل هذه الموهبة ولا يستطيع المشاركة فيها. الجانب الثاني هو جانب المحتوى والمضمون والرسالة التي يحملها الأدب. والأدب الذي لا يحمل رسالة ولا محتوى ولا مضمون هو أدب فارغ ليس له قيمة، وإن حاول فريق من الحداثيين بعضهم قناعة وبعضهم تلبيساً أن ينزعوا من الأدب رسالته ومحتواه ومضمونه، وهذه القضية بالذات معني بها قبل أي إنسان آخر حملة العلم الشرعي ولجانه؛ لأنها تتعرض لأهم مكونات وجود الأمة في عقيدتها وفكرها وأخلاقها ونظمها.. والحداثة تركز في الحقيقة في منشئها الغربي وفي امتداداتها العربية على المحتوى والمضمون أكثر من تركيزها على الشكل والأسلوب.. وما التجديدات الأسلوبية والشكلية التي ينادون بها إلا انطلاقة للتغيير الكامل في نظم الحياة المختلفة والأفكار، وأعتقد أن قضية الحداثة في جانبها الخاص بالمحتوى والرسالة هي قضية كل مسلم وليست قضية الأدباء والمفكرين.

س: ولكن هناك من يشير إلى أن خصوصية مسألة "الحداثة" في مستوى الإبداع والأدب تفترض تدخل أهل الاختصاص المتعمقين في مثل هذه المجالات تحسباً لعوائق "سوء الفهم" التي قد تؤدي إلى خلافات شتى بسبب اختلاف المفاهيم والرؤى بينك كرجل شرعي وبين المثقفين دعاة التحديث؟!

ج: أنا لا أوافق على مثل هذا الطرح بهذه الكيفية، لكنني أرى أن المتدخل يجب أن يكون متخصصاً ومتعمقاً في علم الشريعة، متعمقاً في هذه الفنون والآداب

والأفكار. وهذا بالضبط ما حاولت أن أفعله. ففي جميع حواراتي مع الأدباء والحداثيين لا أذكر أن أحداً منهم اتهمني بعدم الفهم للحداثة، أو بأنني نسبت إليها شيئاً بصورة خاطئة، وأنا لا أدعي لنفسي الكمال، فأنا من طلبة العلم، وهذا يشرفني.. لكنني متخصص في الشريعة. ولديّ بعض من النتاجات الأدبية وربما لم تنشر إلى الآن، ولكن لعلها تخرج إلى الناس في المستقبل، وباجتماع هذا مع ذاك فإنه من وجهة نظري يؤهل الإنسان للحديث في هذه القضايا.

س: إذاً كيف تعلّق على ما يقوله كثير من مجايليك ومن الذين سبقوك بأن خصومات ومواجهات ومعارك أدبية عديدة شهدتها الساحة الثقافية محلياً وإقليمياً (العواد - شحاتة - سرحان - زيدان - .. إلخ) والتي ظلت باستمرار تبدأ وتنتهي بالاحتكام إلى المتلقي ولم يهرع أحدهم إلى استعداء السلطة مثلاً.. في حين أن خصوماتكم أنت شخصياً أخذت منحنى مغايراً، إذ قمتم بوضع الآخرين قسراً في الخندق المقابل "للثقافة الرسمية" إذا جاز التعبير؟

ج: أولاً هذا الكلام فيه شيء من (المصادرة على المطلوب) كما يقول الأصوليون، والحقيقة أن الحداثيين هم الذين كانوا يتسيدون في الساحة، وكنا أنا وأمثالي نطالب بأن يكون لنا موطئ قدم معهم فقط. وجميع المؤسسات الثقافية الرسمية كانت بأيديهم، الأندية الأدبية كانت بأيديهم، وكذلك الشأن بالنسبة للملاحق الأدبية في الصحف.. وما كانت تتاح لنا الفرصة على الإطلاق كي نشاركهم شيئاً من ذلك، وبالحديث عن نفسي على الأقل، فأنا لم تتح لي الفرصة لكي أصبح مسؤولاً عن أي موقع ثقافي فكري أدبي رسمي إلى الآن وعلى الإطلاق. ومع هذا فعندما كانوا يتسيدون في الساحة لم يتيحوا الفرصة للآخرين وهم الذين حاولوا إقصاءهم وتهميشهم وقد اعترفوا بذلك، فشاكر النابلسي في كتابه (نبت الصمت) اعترف بهذا حقيقة وقال: إن الحداثيين انطلقوا من خلفية أنهم يسيطرون على الساحة ويجب أن يقصوا كل من سواهم، وعبد الله سلمان ذكر

هذا في مذكراته الشهيرة، وتحدث عن إقصاء وإبعاد رموز حداثية كبيرة كالجاسر وابن خميس وغيرهما.. إذن، هذه التهمة هم الذين يوصمون بها. وكما ذكرت لك، نحن كشباب في مقتبل أعمارنا ومنطلقين انطلاقة شرعية تجعل الغيرة عالية في نفس صاحبها، ونحسب أن المجتمع والأمة والحضارة والتاريخ والتراث يمثلوننا وليس الوافد.. ومع هذا تحملنا وصبرنا وفتحنا صدورنا مطالبين بالحوار لا أكثر. وعندما نزلنا للساحة أرسلت لنا بالبريد كما أسلفت القول رسائل التهديد بالتصفية الجسدية، هذه التهمة هم الذين يتهمون بها وليس نحن.

س: ورد في ردودك الأخيرة على الدكتور سعيد السريحي اسم (مطشر) وهو نكرة ولا يكاد يعرفه أحد.. من هو مطشر وما هو شأنه؟!

ج: الذين تراجعوا عن الحداثة وعادوا إلى رشدهم كشفوا لنا العديد من أسرارها، وبعض هذه الأسرار كانت في داخل البلاد وبعضها كانت في مهرجانات "أصيلة" و"جرش" و"المربد" وغيرها. ومن هذه الأسرار ما هي أسرار سلوكية وأخلاقية وفكرية، ومنها ما هو أكثر من ذلك من صلات غير مناسبة فكراً وسياسة، والواقع أن مثل هذه الأسرار لا أحب أن أطرحها، ولكن السريحي هو الذي أشار إلى هذه القضية عندما قال: "لقد صدعوا رؤوسنا بجلسات النضال التي يعلمونها والتي يخرج الواحد منهم منها ولا يستطيع أن يقف على رجليه"، فأحببت فقط أن أجلي الصورة قليلاً؛ لأن هذه الكلمة كانت غامضة أمام جميع القراء، وبما يتوافر لديّ من معلومات من الحداثيين أنفسهم، فذكرت أن هذه الجلسات التي كانت تتم أيام هوجة الحداثة كان أغلبها يتم تحت إشراف وتوجيه رجل يعمل في السفارة العراقية كمسؤول ثقافي، ولكنه في الواقع كان رجل الاستخبارات العراقية في المنطقة، وقد احتضن واحتفى بكثير من شباب الحداثة، وكان يوفر لهم التموين لهذه الجلسات، ويقدم لهم الدعوات ويرتب السفريات لهم للمهرجانات الخارجية.. واسم هذا الرجل هو مطشر، والذي أشرت إليه في تلك الردود على السريحي.

س: هذه النقطة تدعونا لطرح التساؤل بصورته العمومية حول السلطة والمثقف وارتباط أحدهما بالآخر في تلك الثنائية التي يحلو لكثير من المثقفين العرب الجدل حولها. كيف تنظر إلى جدلية هذه العلاقة؟

ج: أرى أن السلطة في البلاد جزء أصيل من هذه البلاد، وأن الواجب على العلماء والمثقفين هو التعاون معها على البر والتقوى والتناصح وعدم التعاون على الإثم والعدوان. هذه القاعدة الشرعية يجب أن تكون إطاراً عاماً للتعامل بين المثقفين وأمثالهم وبينهم والسلطة وبين المثقفين والسلطة وعموم الشعب. وعندما يصدر من السلطة الخير والهدى والبر والمعروف في الاهتمام بالأمة وحماية مقدراتها وتحكيم شرعها والحفاظ على أصالتها تؤيد في ذلك وتدعم، وعندما يحدث عكس ذلك تناصح وتسدد وينكر المنكر بمستوياته ومسائله ووسائله الشرعية، أما الأسلوب اليساري القادم من الماركسية والحركات اليسارية المتأثرة بها الذي يجعل المثقف في موقع المعارض للسلطة دائماً أياً كانت هذه السلطة، فهو من الناحية الشرعية مرفوض وينبغي أن يكون الموقف موقفاً عقلانياً منطلقاً وقائماً على أسس الشرعية.

س: لعل هذا التفسير هو الذي جعل كثيراً من الحداثيين يعتبرون كتابك "الحداثة في ميزان الإسلام" الأداة التي قلبت المعركة وقلصت تيار الحداثة، وإن كان بعضهم (ابتداء من جابر عصفور وانتهاء بالرازحي قبل أشهر..) يتهمك باستخدام سلاح التكفير في وجه عدد من الأسماء الحداثية العربية؟

ج: *أولاً*: هذه التهمة هي من نوع الإرهاب الفكري الذي يواجه به العلمانيون عموماً واليساريون منهم على وجه الخصوص مخالفيهم.

وثانياً: نحن نحتكم إلى مرجعية مهمة هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كفَّره كتاب الله وسنة رسول الله نحن نكفره، وما لم تكفِّره فنحن لا نكفره. وأهل الحداثة والعلمانيون عموماً يرفضون هذه المرجعية ويقولون ينبغي أن تكون المرجعية فقط هي الأهواء

والشهوات والرغبات والأفكار الجامحة أياً كان مصدرها. وبناء على رأي أهل العلمنة والحداثة ليس هناك كافر حتى إبليس. إنهم يرفضون التكفير مطلقاً. ورفض التكفير هو رفض لأول أصول الإيمان، ورفض بالتالي للرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم. هذا جانب. من جانب آخر أنا وفي كتابي المشار إليه لم أكفر أحداً من الحداثيين، إنما كنت أورد نصوصهم وأقوالهم وأناقشها. ولا أتحدث عن أشخاصهم؛ ولذلك فإن جميع ما تعرضت له من جابر عصفور ومن الرازحي ومن غيرهما كلام إنشائي خطابي غير علمي؛ لأني لم أجد أحداً منهم يناقش كتابي مناقشة موضوعية، ويثبت بالأدلة والبراهين والوقائع صحة هذه التهم العامة التي يطلقونها جزافاً، وقد تحديتهم في أكثر من مقام أن يثبتوا شيئاً مما يقولون، والذي يظهر لي أن العلمانية في بلاد العرب قد أفلست في أن تناقش الأمور نقاشاً موضوعياً، وأنها عادت إلى زمن الشعارات التي ليس لها رصيد من الحقائق والواقع.

س: لكن الحداثيين يقولون - وبغض النظر عن معايير الخطأ والصواب - بأنك تظل السبب الرئيس في تعرض الكثير من الكتّاب والأدباء الشباب للهجوم والاعتداء العلني على المنابر، بالرغم من أنهم لم يقترفوا - حسب تقديرهم - ما يمكن أن يُدانوا سوى أنهم محسوبين على التيار الحداثي؟

ج: أنا مسؤول، بالأساس، عما صدر مني ولست مسؤولاً عما صدر عن الآخرين. وبالرغم من أنني عندما أعددت كتابي كنت في الرابعة أو الخامسة والعشرين من عمري، أي في فورة الشباب، لكن تقييمي لنفسي الآن يقول بأنني كنت في أعلى درجات التعقل إذا راعينا تلك المرحلة والسن وظروف الإقصاء والضغط والحصار والإرهاب التي مارسها الحداثيون علينا. ثانياً: فإن من الأمور الملاحظة على الحداثيين هي انتفاء الرجولة في تحمل نتائج مواقفهم وأفكارهم والنضال الذي يتحدثون عنه والمسؤولية الأدبية، كل ذلك يقتضي أن يتحمل الإنسان نتائج

فكره، فإما أن يعترف بشجاعة بخطئه ويعلن ذلك أو أن يتحمل تداعيات هذا الموقف عندما ترفضه الأمة والمجتمع والدين والعقيدة.. ثالثاً: ما قد يكون وقع من مواقف خاطئة من بعض المتحمسين أنا لا أقرها.

س: إذن تعترف بأنكم أو بعضكم قد أخطأ في أثناء تلك المعركة؟

ج: إذا كنت تستند إلى عبارتي السابقة فهي عبارة افتراضية لأنني قلت.. "ما قد يكون وقع".. فإذا افترضنا حدوث مثل هذه المواقف فهي خاطئة ولا أقرها. وأنا لا أعطي حكماً عاماً، إذ يجب أن تعرف ملابسات كل موقف لكي تعطي حكماً عليه. لكني أستطيع أن أقول إن المتسبب الأول في استثارة الناس هم الحداثيون أنفسهم.

س: بالرغم من أن هؤلاء يقولون إنك أخضعت معظم النصوص الشعرية الحديثة في تلك المعركة إلى تفسير عوض القرني الشخصي المفرد مما أدى إلى إلصاق التهم بها.. في وقتٍ تظل فيه النصوص قابلة لأكثر من قراءة أو تفسير؟

ج: لابد أن يكون لأي لغة من اللغات دلالات واضحة. وإحدى جرائم الحداثة التي حاولت أن تفرضها في ساحتنا تحطيم الدلالات في لغتنا الجميلة وما سيترتب على ذلك من تداعيات خطيرة إذا ما نجحوا - لا قدر الله - من انقطاع الأجيال عن فهم الكتاب والسنة وعلوم الشريعة وتاريخ الأمة وتراثها، لكن هذا لن يتحقق؛ لأن الله تكفل بحفظ هذا القرآن، واللغة هي وعاؤه وستحفظ بإذن الله.

والدلالة إما أن تكون دلالة مفردة، وإما أن تكون دلالة تراكيب، وإما أن تكون دلالة حقيقية، أو أن تكون دلالة مجازية، وأنا لم أتجاوز في ذكر الدلالات قواعد اللغة العربية التي كتب بها هؤلاء، وإذا كان لقائليها معان لا تحملها الألفاظ (لا من قريب ولا من بعيد) في قلوبهم فلا يعلم الغيب إلا الله، لكنني فسرتها بناء على الدلالات اللفظية والسياقية وعلى ضوء قواعد اللغة العربية، وكنت أرحب بكل

نقد بنَّاء يبين خطئي في هذه التفسيرات وهذه التأويلات، ولقد عرضت تفسيراتي على أكبر مرجع علمي في بلادنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وكما ذكرت لك فإنه بقي يراجع الكتاب مدة عام كامل، ثم عرضت الكتاب نفسه على عدد كبير من الأدباء والمفكرين قبل نشره، وأخذت بجميع نصائحهم وتوجيهاتهم، وبالتالي فإن النقد الذي يوجهه لي بعض صغار الحداثيين لم يثبت إلى الآن أنني أخطأت، ولو كانوا أثبتوا ذلك لكنت تراجعت عنه.. لكنهم لم يثبتوا ذلك والحمد لله.

س: ولكن ألا يشفع لهؤلاء قابلية النص، أي نص. لعدد من التفسيرات المختلفة والمتنافرة بعض الأحيان؟ وهذا أمر نجده حتى في الأحاديث النبوية الشريفة التي تزخر في أحيان عديدة بكثير من التفسيرات والتأويلات التي قام بها بشر، كلٌّ من رؤيته وموقعه الخاص؟

ج: قد يكون للنص أكثر من تفسير، ولكن في النهاية لابد من ترجيح أحد هذه التفسيرات، وإلا فإن النص يصبح لغواً لا معنى له، خاصة إذا كان يحتمل معان متناقضة، وهو ما يسمى في اللغة مشترك، وهو قليل جداً في اللغة، والذي قمت به أنا يقوم به أي إنسان حتى لو كان حداثياً، وإذا كان هذا تعاملي مع نصوص الحداثيين الذين أعلنوا حقيقة أفكارهم فماذا نقول في تعاملهم هم مع نصوص الكتاب والسنة المقدسة، المنزهة والمطهرة، التي وظفوها توظيفاً لا تحتمله قواعد اللغة، وقد أجمع العلماء على أنه إذا تم تفسير القرآن تفسيراً لا تحتمله قواعد اللغة العربية فإن ذلك يعد كفراً.

س: دعني أعترض عليك هنا، ربما وقع في شرك التجني على كتاب الله وسنة رسوله بعض الحداثيين في أرجاء العالم العربي، لكن الحداثيين السعوديين نأوا بأنفسهم من الخوض في مثل تلك التفسيرات. ألا تتفق معي؟

ج: أنا لم أقل إن الحداثيين كلهم بدرجة واحدة، بل منهم الراسخ في ضلاله ومنهم المضلل الذي لا يعلم الحقيقة، ومنهم الباحث عن البهرج الزائف والسمعة، ومنهم من لا يعلم حقيقة الحداثة وإنما هو من المصفقين، ومنهم أيضاً من يفهم الحداثة على أنها مجرد تجديد في الأساليب والقضايا لكنه انساق مع ما خفي عنه، فهم درجات وليسوا على درجة واحدة. وحجة أنهم من أبناء جلدتنا ووطننا فهي حجة يرددها كثير منهم لتبرئة ساحتهم، والواقع أننا لسنا وطناً معصوماً؛ فالعصمة لكتاب الله ولسنة رسوله الكريم، ولما أجمعت عليه الأمة بشروطه الشرعية؛ وما عدا ذلك فليس ثمة عصمة لأحد.

س: في هذا الجزء تحديداً يأخذ عليك خصومك اعتسافك الدائم للمعاني والأحكام، وذلك بسبب قيامك ببتر النصوص وتقطيعها إلى عبارات مجردة، تعزل النصوص عن سياقها العام وإحداث نوع من الاضطراب في المعاني المقصودة.. وقد قال هؤلاء بأنك لم تتعامل مطلقاً مع نص كامل موحد، الشيء الذي أفرز في تقديرهم سوء الفهم العام وقصور الرؤية؟

ج: أمر طبيعي جداً، أن يبحث الإنسان عما يؤيد وجهة نظره، لكنني حاولت قدر الإمكان ألا أصل إلى أحكام محددة إلا بعد توافر الأدلة وتعددها وألا أعتمد على دليل واحد، وعندما قلت إن البياتي، مثلاً، ماركسيٌّ شيوعيٌّ، وهو الذي طنطن له الحداثيون في الصحافة، وأتوا به في الأندية الأدبية، ونشروا المقابلات معه، وقالوا عنه ما لم يقولوه عن علماء الأمة، فقلت: إن البياتي شيوعيٌّ، والرجل يعلن بأنه كان عضواً بالحزب الشيوعي العراقي لأكثر من ثلاثين سنة، وعناوين قصائده ومفرداتها ماركسية ومعانيها كذلك. ومحمود درويش عندما تحدثت عن شيوعيته وماركسيته فهو رجل منتم إلى حزب "راكاح" الشيوعي الإسرائيلي، وهي قضية موجودة ومسطرة باعترافه هو.. فما هو الخطأ في مثل هذه الأقوال التي أقولها. ظني أن هذه التهمة التي يحاولون إلصاقها بي هي تهمة عامة وشعارية لا

تسندها حقائق أو وقائع. والآن مرت أكثر من خمسة عشر عاماً منذ صدور كتابي لكن أحداً من هؤلاء الحداثيين لم يصدر دراسة نقدية موضوعية حقيقية أو يورد مثالاً واحداً لما يزعمون.

س: هؤلاء أنفسهم يقولون بأنك لم تقرأ مجمل الإبداعات الحداثية إلا عرضاً وبشكل انتقائي، ويزيدون بأنك ولغرض المواجهة فقط لا غير بدأت تقرأ لأدونيس وعبد المعطي حجازي وغيرهما بصورة مشوهة لم تستوعب بدايات الانطلاق نحو عمق الأشكال الجديدة؟

ج: الحقيقة إن الذي عرفني على أدونيس وحجازي والبياتي ودرويش وسميح القاسم هم الحداثيون أنفسهم، وأنا لم أنتق، فالبضاعة التي كانوا يعرضونها في الساحة هي التي تعاملت معها، وقد لا يجدون بالرغم من كثرة الأمثلة الحداثية العربية وغير العربية التي لم يوردوها ولم يروجوها في الساحة، قد لا يجدون مثالاً واحداً مما أوردته لم يسوقوه أو يروجوه، فأنا لم أنتق لكن البضاعة التي عُرِضت أمام أعيننا حتى أصابتنا بالغثيان هي التي تحدثت عنها، ومثالاً لذلك لم يجد الحداثيون في جزائر ابن باديس والبشير الإبراهيمي والعقبي.. جزائر التاريخ المجيد والجهاد في مواجهة فرنسا والغرب، لم يجدوا من يقدمونه في صحافتهم من تلك البلاد إلا كاتب ياسين ورشيد بو جدرة، وبالتالي عندما ينتقدونني ويقولون لي لم انتقيت كاتب ياسين أو رشيد بو جدرة أستغرب ذلك؛ لأنهم هم الذين قدموهما وأتوا بهما إلينا.

رشيد بوجدرة أعلن أنه شيوعي وماركسي صراحة، وكاتب ياسين يزعم أن العرب والإسلام يمثلان أسوأ استعمار عرفته الجزائر، ويقول إن اسم كاتب ياسين الذي أسماه له أبوه لا يشرفه؛ لأن ياسين اسم سورة من سور القرآن، بل إنه يقترح أن يُسمَّى كاتب لينين.

إذن هم من قدَّم لنا كاتب ياسين في الصحافة على أنه المبدع الكبير والأديب العظيم والمفكر الذي لم تأت الجزائر بمثله، وعندما مات رثوه بالصفحات الكاملة في صحافتنا، ثم إذا ما تحدثنا عنه يقولون إننا انتقائيون... وهذا غير صحيح.

س: هل كان من الضروري الانتظار طيلة هذه السنوات للحديث عن "أزمة الحداثة" العربية، بمعنى آخر "أين كان عوض القرني طيلة السنوات التي رافقت بزوغ التوجه نحو الآفاق الجديدة - بحسب تعبيرهم - للشعر الحديث.. لماذا لم نقرأ لك من قبل عن الحداثة والأدب؟

ج: ذكرت لك آنفاً بأنني كنت في بداية مرحلة الشباب عندما بدأ تيار الحداثة في البروز، كنت طالباً جامعياً حينها، ومع ذلك بدأت الحوار أو المواجهة أو سمها ما شئت ولم تُتح لنا الفرصة؛ إذ كنا نكتب لـ "الرياض" و "اليوم" و "عكاظ" و "اليمامة" فتلقى كتاباتنا في سلة المهملات، ويُرد علينا في صفحات القراء (قلم وحبر في اليمامة على سبيل المثال) بردود استهزائية ساخرة نفهمها نحن، وكنا نتابعهم في الأندية الثقافية التي تحدث عنها الدكتور سعيد السريحي في مقابلته، كنا نتابعهم ونطلب السماح لنا بالمداخلة والحوار فيُرفض طلبنا ولا يُتاح لنا ذلك. إذن أنا ومنذ أن بدأ التوجه في البروز بدأت في الاتصال به، وعندما قمت بتأليف الكتاب كنت طالباً متخرجاً من الجامعة فما أظن أنني تأخرت.

س: إذن ربما كان الشعور بالغبن تجاه هؤلاء هو الذي دعاك لكي تكون أكثر حرصاً على استثمار العاطفة الشعبية غير المثقفة "أو استغلالها بتعبير أدق" ووضع ذلك رأس حربة ضد التيار الحداثي الذي كان من أبرز سلبياته بنظر الكثيرين نزوعه نحو النخبوية؟

ج: الحداثة لا يمكن أن يكون لها امتداد شعبي؛ لأنها لا جذور لها في الأمة؛ فهي فكر وافد مستورد، فلا بد أن يكون فكر نخبة، لكنها تظل نخبة مضللة مع الأسف، أما نحن فقد انطلقنا من ديننا وتراثنا وهو دين الأمة؛ لذلك تعاطفت الأمة معنا، ما كان هدفنا ولا كان ظننا أن يبلغ التعاطف معنا إلى تلك الدرجة الكبيرة، لكنه كان تعاطفاً عفوياً من الأمة، ولكي نذكر الحقائق كاملة أقول إنه وقبل تعاطف عوام الأمة تعاطف علماؤها ومثقفوها ورجالات الفكر والسياسة

وأساطينها. أولئك هم من تعاطف معنا أولاً وعلى جميع المستويات والتخصصات العلمية، ولقد ذكرت بعض الأسماء قبل هذا وهنالك كثير من الأسماء غيرها، فليس صحيحاً أبداً ما يصوره الحداثيون من أن فئة قليلة هي المتحمسة، وكما قال شاكر النابلسي في كتابه (نبت الصمت): "بأن وراءهم عدد كبير من الغوغاء الذين لا يفقهون" فإن كان يقصد بذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز و الدكتور عبدالله نصيف والدكتور محمد عبده يماني والشيخ العثيمين والدكتور مانع الجهني والدكتور عبد الله الطيار وأمثال هؤلاء فما بقي في الأمة مثقفين؟! وإن كانوا يريدون إنكار تعاطف هؤلاء مع القضية وتأييدهم للتوجه الإسلامي الأصيل في الفكر والأدب فهذا إنكار للحقائق ومغالطة مكشوفة.

س: يلجأ الشباب من الحداثيين عادة إلى اعتبار النصوص الحديثة أشكالاً أدبية صرفة لا علاقة لها بالفكر.. كيف تنظر للأمر؟

ج: كما ذكرت لك في إجابة سابقة، إن الأدب له جانبان، الأول: يخص الشكل والأسلوب، والثاني يخص المحتوى والمضمون والرسالة، وهم يعلمون قبل أن أعلم أنهم أصحاب توجهات فكرية، والحداثة كانت تتقاسمها في البدء مدرستان رئيستان هما الواقعية والألسنية، وفي داخل كل مدرسة طوائف ومجموعات متصارعة فيما بينها. هم يعلمون هذا وانتماءاتهم الفكرية سابقة على انتماءاتهم الأدبية؛ وما الأدب إلا وسيلة وظفوها لنشر فكرهم، وأنا في كتابي الذي أزعجهم كثيراً تحدثت عن الأفكار لا عن الأساليب، وتحدثت عن المضمون والمحتوى لا عن الشكل، وهذا هو ما أزعجهم، وهو نفسه الذي يريدون أن يخادعوا به. هذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: هو أنه بالرغم من مرور كل هذه السنين الطويلة لم يوجد أحد من الحداثيين يكتب متبرئاً ومتنصلاً وناقداً لمحتوى أفكار محمود درويش أو أدونيس أو البياتي وأمثالهم فماذا يعني هذا؟ عندما يشيدون به عشرات المرات ولا توجد

أي كتابات لأي واحد منهم تنتقد أفكار مثل هؤلاء الناس الذين يتوزعون ما بين ماركسي أو شيوعي ملحد.. ماذا يعني هذا؟

س: لكن عبد الله الغذامي في كتاباته الأخيرة انتقد أدونيس بقسوة.. والغذامي يعتبر أحد أركان الحداثة بل رائد التيار الأول في الساحة الأدبية؟

ج: مجمل ما قاله الغذامي عن أدونيس يتمحور حول قوله إن أدونيس تراثي، وإنه ينطلق من "السلطوية في الفكر التراثي" لم ينقده للأسف في إلحاده وعدائه لله والتراث، وقوله فواقر الألفاظ في حق الله سبحانه وتعالى وفي حق نبيه صلى الله عليه وسلم. ما نقده الغذامي من أجل هذا بل اتهمه تهمة أدونيس برئ منها وهي أنه "يمثل التراث بما فيه من سلطوية" كما أسماها ومصادرة للآخرين وثقافة الذكورية، وهذا ليس صحيحاً فإذا اتُهِم أدونيس بأنه تراثي فمن الذي نعدُّه غير تراثي؟

س: بمناسبة الحديث عن الغذامي، كيف تنظر إلى تنقلاته ما بين النقد الأدبي والثقافي؟

ج: الدكتور الغذامي رجل مثقف، ويملك جلداً وقدرة، وأنا حقيقة لم ألتق به مباشرة لكني أُتابع كل ما يصل إليّ من كتاباته، وظني أن الرجل إما انه يعيش قلقاً في الجانب الفكري جعله يتنقل هذا التنقل أو أنه يبحث عن الشهرة، فكلما ارتاد مكاناً ولم يجدها بحث عنها في مكان آخر.. ربما ولعله يبحث عنها في حياض الفكر الإسلامي يوماً ما.

س: أخيراً هلا جليت لنا كشف حساب معركة الحداثة من وجهة نظرك أو بالأحرى ما هي خلاصة تلك المعركة؟

ج: أشرت إلى ذلك سابقاً وقلت: إن الحداثة كُشفت على حقيقتها وتبين للأمة خطرها، وأنه أصبح في الساحة توجه إسلامي يواجه الحداثة، وأن بعض الحداثيين تراجعوا عن مواقفهم السابقة.

س: إذن والحال كهذا ما الذي قدمتموه أنتم بعد انتصاركم؟ أين البديل الذي قدمه أدباء الأصالة؟ فالمتابع للساحة لا يرى أي بديل بإمكانه أن يتخطى ما قدمه أولئك، وكنت قد طرحت هذا السؤال على الدكتور حسن الهويمل في إحدى اللقاءات الفضائية فأجابني بأنكم لستم ملزمين بتقديم البديل، ما هو تعليق الدكتور عوض القرني؟

ج: الحداثيون بطرح مثل هذا السؤال يحاولون إشعار الناس بأن الأمة قبل مجيئهم لم يكن لها فكر ولا أدب، وعندما ضُرب توجههم في الميدان الفكري (وهو بالمناسبة لم يُضرب أمنياً أو سياسياً بل فكرياً والحمد لله) أقول إنه وعندما ضُرب توجههم في الميدان الفكري تصوَّروا أنه قُضِيَ على أدب الأمة، وهذا ليس صحيحاً فالأمة أدبها قائم منذ فجر تاريخها، وهو مستمر ولا يزال العطاء قائم يضعف أحياناً ويقوى أحياناً أخرى لارتباطه بقوة الأمة وضعفها في جوانب الحياة الأخرى المختلفة.

أنا أعتقد أن هناك أدباً أصيلاً في الساحة، سواء في الإبداع أو في الدراسات أو في النقد في الكليات والأقسام والأندية الأدبية، هل هذا هو الطموح؟ لا بلا شك؛ فالطموح أكبر من ذلك، ولكنه موجود والحمد لله، وكمثال ففي بلدنا هنا في الداخل نجد أن من النقاد الكبار والراسخين الدكتور حسن الهويمل والدكتور عبدالله الحامد والدكتور محمد الفاضل والدكتور سليمان العايد والدكتور عبدالله الزهراني من الشعراء والمبدعين الدكتور عبد الرحمن العشماوي والدكتور ناصر الزهراني والشيخ عايض القرني والدكتور صالح الزهراني والأستاذ مهدي حكمي وغيرهم كثير والحمد لله.

س: يرى بعضهم أن الدكتور عوض القرني أضاع جهده في معارك جانبية مع خصومه الكثر لدرجة أنه لم يستطع أن يؤسس لنفسه منهجاً في الدعوة إلى ما يؤمن به.. ما هو تعليقك؟

ج: أنا لا أزعم أنني أسعى إلى تأسيس منهج. أنا إذا نجحت في أن أتمثل المنهج النبوي القائم في حياة الأمة فهذا غاية النجاح، أنا أرى نفسي تلميذاً صغيراً في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، وكل ما أنتجته هذه المدرسة عبر تاريخها الطويل على أساطين أيدي تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم فهو إضافة لهذا المنهج الفريد والمتميز. لا أزعم لنفسي منزلة ليست لها، لكنني بذلت جهدي.

س: لكن وبالمقابل يزعم بعض خصومك بأنك تنشغل بالحكم على مخالفيك باعتبارهم عصاة ومنحرفين يجب إقصاؤهم أكثر مما تنشغل بحوارهم بنيَّة ضمهم واحتوائهم؟

ج: ربما كان ٨٠٪ من إنتاجي في الشريط والكتاب هو من باب الدعوة لا في باب بيان الحكم، وبالتالي هذا رد على مثل هذا التساؤل أو هذا الاتهام، ومن يتتبع ما قمت به من إنتاج في الأشرطة وفي الكتب يجد أن شغلي الشاغل هو الدعوة وليس الحكم، وأنا لا أعلم في الحقيقة أن شريطاً واحداً أو كتاباً لي كان شاغله الرئيس هو الحكم على الناس.

س: هل للمسألة علاقة بالأسلوب الذي تكتب به؟ فهنالك شبه إجماع - حتى من أولئك الذين هم من تيارك نفسه -، يقول بأن أسلوبك يعتمد على الشدة على الخصوم إلى الدرجة التي تقوم فيها بمصادرة آراء الآخرين، بمعنى أنك تبدو منفراً أكثر منك مبشراً؟

ج: ربما كانت الحقائق مؤلمة، لكني أؤمن بأن وضع اليد على الحقيقة وتجليتها هي بداية الإصلاح والتصويب، أما الإسهام في تغطية الحقيقة ونشر الضباب من حولها بحجة مراعاة الخواطر فلا أظن أحداً يحترم نفسه من أهل العلم يرضاها لنفسه. أنا أبتعد عن التجريح الشخصي، وما أمتلكه من معلومات عن شخصية الإنسان الخاصة أحاول أن أتجنبها قدر الإمكان، وأناقش الفكر المنشور في

الكتب وصفحات الصحف، لكنني أشير إلى الحقائق، وربما كان بعضهم يرى في ذلك قسوة، لكنني أرى أن البحث عن الحقيقة يستحق أن نقدم في سبيله مثل هذا.

س: كيف تفسر وصفك بالقسوة في هذا الاتجاه بينما تُتهم بالعاطفية الشديدة بخصوص ما تقدمه على أشرطتك؟

ج: ربما كان تناقض التهم رداً من لبعضها للبعض الآخر مما يثبت أنني في منطقة الوسط بين تهمتين.

س: هذا أحد محبيك يقول: "الدكتور القرني يمثِّل رمزاً لمدرسة إسلامية في مواجهة تيارات الحداثة والعلمانية". والسؤال هو: هل استطاع الشيخ القرني أن يكوِّن له تلامذة في ذات المدرسة تكون امتداداً له ولفكره؟

ج: أنا وكما قلت في إجابة سابقة أشرُفُ بأن أكون تلميذاً في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، ومشائخي وأساتذتي ممن سبقوني في هذا الطريق من علماء هذه البلاد ومفكريها وكبار الأدباء فيها ومن علماء بلاد المسلمين الأخرى ومفكريها هؤلاء جميعاً لهم أجر إيصال أنوار الرسالة إلى جيلي، ونرجو أن ننجح أنا وجيلي في الحفاظ على أنوار هذا العلم، وعلى هذه الرسالة، وهذه المدرسة ومنهجها، وأن ننقلها إلى الأجيال القادمة، وأن نحاول بإذن الله أن ننفي عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

س: قلَّ أن نجد من المتخصصين في علوم الشريعة من خاض في أمر يخص ساحات الأدب والفكر المعاصر بمثل تلك القوة وذلك العمق؛ فما الذي جعلك من هذه الفئة القليلة؟

ج: تكونت لي قناعة مبكرة، ملخص هذه القناعة أن العلم الشرعي يحتاج إلى أن يكون حامله على صلة بالعلوم الأخرى لكي يفهم الواقع ويسعى لتكييفه في علم الشريعة، وأجد أن من أشد العلوم التصاقاً بعلوم الشريعة علوم اللغة وعلم

التاريخ، وأقول إن المتخصص في علوم الشريعة الذي ملكته واطلاعه على العلوم اللغوية ضعيف يكون إنتاجه في ميادين العلم الشرعي شاحباً متجهماً ليس له رونق ولا جمال، والذي يجهل علم التاريخ أيضاً وهو متخصص في علم الشريعة يكون علمه مبعثراً غير منظم، ومن هذه القناعة كان اهتمامي المبكر بعلوم اللغة العربية وعلم التاريخ، وربما كانت قراءاتي واطلاعي ودراستي لهذين العلمين تساوي في مقدارها مقدار اهتمامي بالعلوم الشرعية.

س: لكن هناك من يتهمك بأن اهتماماتك الأدبية والفكرية وحتى التجارية أخيراً طغت على إجادتك لتخصصك الشرعي؟

ج: كنت في أثناء دراستي للشريعة متفوقاً والحمد لله، وكذلك في الماجستير والدكتوراة أيضاً، والكتب التي أنزلتها وهي أحد عشر كتاباً ثلاثة منها فقط في غير العلوم الشرعية والثمانية الأخرى في العلوم الشرعية، وقد لاقت رواجاً وقبولاً والحمد لله من المتخصصين في علوم الشريعة، مما يجعلني لا أطمئن إلى صحة هذه التهمة تماماً وإن كان مستواي وواقعي في العلوم الشرعية أقل من طموحاتي التي أرجو أن أبلغها أو أن أبلغ بعضها في المستقبل.

س: وما هي قصة أعمالك التجارية التي يتحدث عنها كثيرون هذه الأيام؟

ج: في الواقع ليست لي أعمال تجارية بالمعنى الصحيح، وإنما هي بعض الأنشطة المحدودة التي أعطيتها بعض وقتي والتي هي أيضاً لصيقة بتخصصي؛ فأعمل في ميدان المحاماة، وهو ميدان له علاقة بالقضاء وبالعلوم الشرعية دون شك، وبعض الأعمال البسيطة التي لا تأخذ من وقتي الشيء الكثير.

س: عودة إلى ما سبق وذكرته لنا عن أبناء جيلك وكيف أنكم تعملون على الحفاظ على "أنوار الرسالة" بحسب تعبيرك، هلا تفضلت وذكرت لنا بعضاً من الأسماء التي تتوسم أن يكون لها شأن في مجال علوم الشريعة؟

ج: أعرف عدداً ممن هم من الأخيار الأبرار في هذا الميدان مثل الدكتور سعيد الغامدي والدكتور محمد الحازمي والدكتور مناع القرني وهؤلاء من زملائي وأقراني، وكذلك هناك الدكتور الأديب عبد الرحمن أحمد فايع عسيري الذي يُقال إنه من تلاميذي وهو دكتور في الشريعة، وأيضاً كمثال هناك الدكتور عبدالرحمن الجبرين في الرياض، والدكتور محمد حسن عقيل والدكتور علي بادحدح في الحجاز، والدكتور عبد الله الحكمي في الرياض، وهو أديب وشاعر، ومن علماء السنة الدكتور عبد الوهاب الطريري الأديب العالم، ومن الأدباء أيضاً الدكتور أحمد السيد مباركي، وقد أشرف علي في رسالة الدكتوراة واطلعت خلال احتكاكي به وتتلمذي عليه على أدبيته الرائعة والراقية، ومثله زميله في مجلس الشورى العلم الدكتور صالح بن حميد وهناك العديد من الأسماء الخيرة.

س: ولكن معظم هذه الأسماء التي ذكرتها ليس لها حضور إعلامي وقلما يعرفها أحد؟

ج: هذه المشكلة هي مشكلة الشرعيين المتخصصين في علوم الشريعة، عزوفهم عن الميادين الإعلامية. أنا أعترف بتقصيرنا في هذا الميدان، وربما كان من أهم الثغرات التي كان ينبغي أن نلتفت إليها وأن تُسَد من قِبَلْ حملة العلم الشرعي والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى الساحات الإعلامية والأدبية وبالذات ميادين الصحافة والإعلام عموماً، ولو قِيس حجمهم بالساحة الثقافية بمقدار حجم وجودهم في الميادين الإعلامية لكان لا وجود لهم بالرغم من أنهم يشكلون الأكثرية في الساحة الثقافية والحمد لله، ومن هنا أوجه رسالة لجميع مشائخي وإخواني وتلاميذي إلى أن يتجهوا إلى مثل هذه الوسائل التي هي من أبلغ الطرائق التي بها يبلغ الحق ويُنافَحْ عنه.

س: تناهى إلينا أنكم ناديتم في أحد المجالس الخاصة إلى إقامة رابطة أو منتدى يضم المثقفين في المملكة، ما حقيقة هذا الكلام وما مغزى مثل هذا التجمع المقترح؟

ج: المثقفون عامة بينهم آصرة ورحم الثقافة والفكر، والمفترض أن يكون التواصل قائماً بينهم باستمرار، وأن يكون همه البحث عن الحق والاهتمام بقضايا الأمة والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرها. من هنا كنت أنادي بأن تكون لهم رابطة يتواصلون من خلالها ويتحاورون ويتناقشون، وألا تبقى الوسائل الإعلامية العلنية - التي قد تفرض على الإنسان شيئاً من التأبي وعدم الاعتراف والمراجعة - هي الوسيلة الوحيدة للتواصل بين المثقفين وكنت قد ناديت سابقاً بما أسميته سابقاً بميثاق الشرف فيما بين المثقفين الذي يحدَّد فيه كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين المثقفين حتى وإن اختلفوا، وحدود الاختلاف وطرائق تجاوز هذا الخلاف، وهي فكرة طرحتها وأتمنى أن تجد الصدى لها، وكان يؤمَّل أن تقوم الأندية الأدبية بهذا الدور لكنها لم تنجح لأسباب عديدة من أهمها أن الحداثيين الذين كانوا يسيطرون عليها قاموا بإقصاء الآخرين، وما زال بعض بقايا الحداثة والذين يصفقون للحداثة يفعلون الشيء نفسه.

ثانياً: إن فيها من الركود وعدم التجديد والتطوّر الشيء الكثير، وهم ينادون دائماً بالإبداع لكنهم لم يبدعوا أبداً في وسائلهم وإدارتهم وطرائقهم. لا بل إن بعض هذه الأندية ومنذ إنشائها قبل عشرين سنة ما تزال إدارتها نفسها لم تتبدل، اللهم إلا أولئك الذين انتقلوا إلى عفو الله تعالى، وهذا أصاب العديد من المثقفين بالكثير من الإحباط، ولو كانت الأندية الأدبية تقوم بدورها كما ينبغي لما فكرنا في هذه الرابطة التي ننادي بإنشائها.

س: وهل ستكون هذه الرابطة المقترح إنشاؤها من طرفكم وعاء جامعاً لكل ألوان الطيف الثقافي والفكري بالمملكة أم أنها ستكون مكفولة لفئة معينة دون أخرى؟

ج: الذي يعارض عوض القرني كشخص أو كرأي واجتهاد لا ضير عليه، لكن الذي يعارض ثوابت الأمة في دينها وعقائدها وتراثها وتاريخها أحسب أن الأمة كلها لن تقبل به وليس أنا فقط. فإذا تم الاتفاق على خطوط عامة وثوابت لا يمكن

تجاوزها ومرجعية يُحتكَم إليها عند الاختلاف فلتبق مفتوحة أمام كل صاحب اجتهاد.

س: ولكن هل تعتقد أن المثقفين من التيارات الفكرية الأخرى المخاصمة لك سيتقبلون مثل هذه الدعوة لإقامة رابطة وخصوصاً أن الدعوة صدرت منك أنت تحديداً في وقت لم تجف فيه أحبار ردودك المؤلمة عليهم بعد؟

ج: ردودي ومن وجهة نظري على الأقل كانت على من يعارضون هذه الثوابت، وربما كانت بها ثمة حدة، لكنها تبقى حدة منضبطة بالحق. أما من أختلف معهم في الرؤى الاجتهادية والآراء الشخصية فأنا لا أقطع أن رأيي واجتهادي فقط هو الصواب، بل هو رأي أطرحه مع الاجتهادات الأخرى، وأعتقد أن لهم من الحق في طرح آرائهم والإدلاء بها والاحتجاج لها والمنافحة عنها مثل ما لي من الحق، ولن يبقى في النهاية إلا الصواب والحق.

س: دعا الدكتور فهد العرابي الحارثي في مقالة له قبل أشهر الأخوة الدعاة والمشائخ للمشاركة في صحيفة "الوطن" هل وُجهت إليك دعوة شخصية للكتابة؟

ج: الدكتور فهد العرابي هاتفني شخصياً ونقل لي مثل هذه الدعوة، وذكرت له في رسالة أرسلتها إليه وجهة نظري حول جريدة "الوطن"، وأنا على موعد للجلوس معه والحديث عن هذا الموضوع.

س: ولماذا التردد، ألا ترى أنه آن الأوان لاستثمار المنابر الإعلامية من قبلكم أنتم الدعاة وخاصة أن الزمن تبدل كثيراً ومضى ذلك الزمان بكل ما فيه من تشنج واحتراب؟

ج: إذا كانت الوسيلة الإعلامية القائمة ضمن ضوابط محددة ومعينة، ولا أقول ضوابط مثالية، مقبولة في الجملة، إذا كانت الوسيلة الإعلامية كذلك فأرى أن هذه الوسيلة ينبغي تكثير الخير فيها وتقليل ما قد يكون فيها من أخطاء ومن

عيوب والسعي لتقويمها، لكنك أحياناً تجد بعض الوسائل الإعلامية يغلب شرها على خيرها، ويصبح هذا الشر سياسة لها متبعة، وإذا أُتيحت الفرصة للخير وأهله فإنما من باب ذر الرماد في العيون والتلميع والتسويق بين الجماهير المسلمة.

وإذا غلُب على ظن المفكر أو الداعي أن هذا هو المراد فكما يقول علماء الشريعة "الأمور بمقاصدها"، ينبغي حينئذ ألا يكون الإنسان جسراً يعبر عليه إلى الباطل وإلى تضليل الناس وإفساد أخلاقهم وقيمهم، والقضية في النهاية تبقى محل نظر واجتهاد، وبالتالي قد يخطئ الإنسان حينها وقد يصيب.

س: هذا الكلام يعيد إلى الأذهان ما كان من أمر دعاةٍ كبار ومفكرين بارزين ينتمون إلى تياركم نفسه عندما هموا بمقاطعة كل المنابر الإعلامية التي لا تلتزم ١٠٠٪ بما يعتقدونه، وهو ما اتخذوه مع الإذاعة ومع التلفاز في وقت قديم، هل مثل هذه المواقف تتناسل ويتم توريثها للأجيال ويجب الالتزام بها مدى الحياة؛ ودعني أستحضر الموقف من اللاسلكي في حقبة تاريخية متقدمة؟

ج: أنا لست من هذا الصنف من الناس الذين تتحدث عنهم، وواقعي وتاريخي ونشاطي يشهد بهذا. أنا أقول أولاً إن من الوسائل الإعلامية ما يختلط فيها الخير والشر، وظني أننا في ظل الحضارة الغربية يصعب علينا إيجاد وسيلة إعلامية نقية مئة بالمئة. أنا أدرك الواقع وأدرك مدى إمكاناتنا كمسلمين فيه، ولا أطالب كما قلت لك بالأشياء الخيالية والمثالية، ولكني أقول أنه عندما تصبح الوسيلة منبراً للإفساد والفساد والتدمير فإن وجود الداعية فيها (الوجود الساذج والمبرمج) ضمن إطار محدد ما هو إلا جواز مرور لها إلى جماهير المسلمين، وتسويق لها وخداع للناس. لكن إذا علم الإنسان من الوسيلة وأهلها إما صدق التوجه وأن هذه هي قدرتهم أو على الأقل إتاحة الفرصة لأهل الخير وعدم فرض الحواجز والسدود والقيود عليهم وألا يتبنوا الفساد والشر تبنياً صريحاً، حينئذ يجب على الداعية أن يسعى للإسهام في مثل هذه الوسائل الإعلامية.

س: هذا عتاب وصلني من أحد الكُتَّاب في الرياض يعتب عليك في ذات القضية ويقول إن انصراف أمثالك ممن نعتبرهم رموزاً عن الكتابة في منابر مثل "الوطن" أدى إلى أن تتلقف بعض الصبية المنتكسين الذين بدؤوا بقيء ما تشربوه من كتابات أركون والجابري وحنفي، وينالون من الصحوة ورموزها - والعبارات له - ألا تتحمل أنت وأقرانك جزءاً من هذا الذي يحدث؟

ج: إذا أمكنني وأُتيحت لي الفرصة ليكون لي موقع في مثل هذه الوسيلة الإعلامية ضمن الضوابط التي ذكرتها قبل قليل ثم قصَّرت فأنا مسؤول عن هذا، أما إذا لم تُتَح لي الفرصة أصلاً أو أنها أُتيحت لتكون كما ذكرت آنفاً فما أظنني وأقراني مسؤولين عن مثل هذا الأمر.

*****

كتب وإصدارات

س: أخبرنا عن أسماء الكتب والمؤلفات التي قمت بإصدارها؟

ج: من هذه الكتب "تحقيق كتاب التحرير - شرح التحبير في أصول الفقه للمرداوي" حققته مع أخوين كريمين هما الدكتور عبد الرحمن الجبرين والدكتور أحمد السراج، وقد نزل إلى المكتبات في تسعة مجلدات، وأيضاً "تحقيق كتاب كاشف الرموز ومظهر الكنوز في أصول الفقه للطوسي" في أربعة أجزاء مع الدكتور يحيى السعدي، كذلك كتاب "في مقاصد التشريع" في أكثر من طبعة، وكتيب "في فقه الخلاف"، وكتاب "من معالم الدعوة الراشدة"، كذلك كتيب "الصحوة الإسلامية وكيف نحافظ عليها"، وكذلك كتاب "حتى لا تكون كلاً"، وكتاب "الحداثة في ميزان الإسلام"، وتحقيق رسالة في "الاجتهاد والتقليد" نزلت مؤخراً، وهناك بعض الكتب في الطريق بإذن الله.

س: ما هي قصة كتاب "حتى لا تكون كلاً"؟

ج: من نقاط الضعف التي رأيتها في الصحوة الإسلامية بُعْد شباب هذه الصحوة وكثير من رجالاتها عن العلوم الإنسانية المعاصرة وبالذات علوم الإدارة والاجتماع والنفس، ولي ولله الحمد صلة مبكرة بهذه الأمور واهتمامي بها وصل إلى حد أخذ دورات فيها والحصول على شهادات في بعض هذه العلوم، وكنت أحاول في بعض المناسبات العلمية والمنبرية في محاضرات أو ندوات أو دورات لفت الانتباه إلى هذا الجانب من الضعف الإداري والضعف في علم النفس وعلم الاجتماع وتوظيفها لمصلحة الإسلام والدعوة توظيفاً علمياً، هذا الطرح نال إعجاب الكثيرين الذين طلبوا مني أن أكتب في ذلك فنزل كتاب "حتى لا تكون كلاً"، وما كنت أتوقعه من حاجة الساحة إلى مثل هذا الطرح ثبت لي بصورة جلية بعد نزول الكتاب؛ لأنه في ظرف ستة أشهر فقط نزلت منه ثماني طبعات وطبع بعد ذلك عدة طبعات ونال إعجاباً كبيراً، وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

س: واضح أنك خضت في علوم امتنع عن الخوض فيها كثير من الدعاة منذ قرون خلت كعلم النفس وغيره، بل كان الموقف يدعو للقطيعة الكاملة، هل تغير موقفكم من مثل هذه العلوم؟

ج: في الحقيقة لا يكفينا أن نقف من علم من العلوم موقفاً سلبياً خاصة إذا ما أصبح هذا العلم واقعاً في حياتنا، فهو يُدرَّس في جامعاتنا وكلياتنا ويدرسه أبناؤنا وبناتنا ويتشربونه، فلا بد من أن نسبر غور هذا العلم وندرسه دراسة عميقة مستفيضة، وأن نحاول أن ننفي ما فيه من أخطاء وعيوب، وأن نحاول أيضاً استيعاب ما فيه من تجارب إنسانية راقية وصائبة؛ فالمؤمن أولى بالحكمة أينما كانت، وعلينا أن نوظفها توظيفاً مناسباً يتفق مع ديننا وقيمنا وحاجاتنا. من هنا كان توجهي في هذه العلوم من وقت مبكر، ولعلي كنت من أوائل من تدربوا في البلد ونالوا شهادات علمية فيما يسمى الآن بعلم "البرمجة اللغوية العصبية"، وهو علم جديد وافد من الغرب وفيه الكثير من الإيجابيات والتلافي لكثير من سلبيات علم النفس السابق ومدارسه.

أسئلة الصحوة

س: ندير دفة الحوار نحو مسألة غاية في الأهمية أيضاً وهي مسألة "الصحوة" وما يُثار بشأنها من أسئلة واتهامات، من هذا القبيل ذلك القول الرائج الذي يقول: إن تيار "الصحوة الإسلامية" بشكل عام هو مجرد ردة فعل بسبب الصدمة الحضارية مقارنة بالغرب، كيف تنظر للأمر وأنت أحد رموز هذا التيار؟

أولاً: الصحوة هي جزء أصيل مما وعد الله سبحانه وتعالى به في حفظ هذا الدين وهذه الملة، والله سبحانه حينما ختم الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم تكفل بحفظ هذه الرسالة وقال ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾، وبالتالي فدين الله سيبقى، وبقاؤه ليس في الكتب والمدونات فقط بل في نماذج اجتماعية وأشخاص متحركين به في هذه الحياة، فالصحوة هي تحقيق لوعد الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين.

الأمر الثاني: فهي أيضاً نتيجة لجهود الدعاة التي بُذلتْ منذ بدايات القرن الماضي بعد الغزو الاستعماري الذي تعرض له المسلمون في كثير من البلاد الإسلامية؛ فقام الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى بمواجهة هذا الغزو في الميادين الفكرية والعلمية بجانب آخرين واجهوه في الميادين العسكرية، وقد حاول الدعاة في ذلك استيعاب العصر ومستجداته وتقديم الإسلام تقديماً عصرياً، فاستنقذوا كثيراً من صرعى الغزو الفكري، وكان ذلك نتيجة لجهودهم، وكذلك فإن من أسباب الصحوة أن الدين الإسلامي هو استجابة حقيقية للفطرة الإنسانية، فإن هذه الفطرة مهما جنحت فإنها تستجيب للحق والهدى والنور بمجرد أن تجده يسعى أمامها، ولعل من أهم أسباب هذه الصحوة أيضاً ما جنته المبادئ المستوردة على الأمة من تمزق وتخلف وضياع وتشرذم وضعف أمام أعدائها، فعادت الأمة إلى دينها تعتصم به وتبحث فيه عن السعادة والفلاح والنجاح والنصر.

س: تبدو كما لو أنك تصبغ على "الصحوة" شيئاً من الكهنوتية إذا جاز لي التعبير ولا تتعامل معها على أنها ظاهرة وفورة تاريخية تمتد وتنحسر مثل كثير من الظواهر والشعارات التي تهالكت كالمد القومي والمد اليساري والدليل على ذلك أن "الصحوة" نفسها تشهد نوعاً من الانحسار نستطيع مشاهدته عبر واقع الحال؟

ج: "الصحوة" تختلف في جوهرها عن المبادئ التي سادت الأمة في العقود الماضية، تختلف اختلافات جذرية.

أولاً: تنطلق الصحوة الإسلامية من عقيدة الأمة ودينها وتاريخها وتراثها بينما تلك المبادئ مستوردة ووافدة على الأمة وليس لها جذور في تاريخ الأمة على الإطلاق.

ثانياً: أنا ذكرت سابقاً أن إفلاس هذه المبادئ وما جنته على الأمة أحد أسباب إنضاج هذه الصحوة، هذا بلا شك، لكنه ليس السبب الوحيد، وأشير إلى سبب آخر هو أن هذه المبادئ كان حملتها نخبة، سياسية أو فكرية، أما الصحوة فهي تيار شعبي عارم في داخل الأمة لم تستطع أن تجتثه الغزوات المغولية ولا الحروب الصليبية ولا الهجمة الاستعمارية في القرون الأخيرة، والغزو الفكري الذي حدث بعد الاستقلال وتسيُّد الفكر الماركسي والاشتراكي أو العلماني أو القومي في بعض البلدان الإسلامية. كل هذا لم يستطع اجتثاث الإسلام فهو باق بإذن الله سبحانه وتعالى.

س: الصحوة بهذا المعنى الذي أشرت إليه تكاد تكون قد "أكلت بنيها"، فهي في وقتها الراهن ما انفكت تتنكر لمؤسسيها أمثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا بالرغم من أن كثيراً من أدبياتها وجدت من خلال مشاريعهم، كيف تعلق على هذا؟

ج: من أصول الإسلام أن العصمة هي فقط لوحي الله سبحانه وتعالى، وأن علماء المسلمين ليس لهم عصمة، إذ هم مبلغون فقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل عالم يظهر في عصر من العصور ويحاول استيعاب مستجدات هذا

العصر فيقدم دين الله بأسلوب عصري يتواءم مع المستجدات ويستوعب النوازل الجديدة ويبين حكم الله فيها. وينبغي أن يُحفظ لعلماء المسلمين قديماً وحديثاً حقوقهم وفضلهم وسابقتهم وهو أمر واقع. لكن لا يجب أن يعني ذلك ادعاء العصمة لهم والتسليم بكل ما قالوه، بل لا بد من التسديد والتقويم المستمر والنقد البنّاء لأنه من باب النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

س: برزت في أدبيات الصحوة مفاهيم أُنيطت بها على اعتبار أنها من أصول الشرع، لكننا لا نجد لها حضوراً بارزاً في تراثنا الإسلامي، ودعني أدلل على اتهامي بمصطلحات الحاكمية والمجتمع الجاهلي، ما حقيقة مثل هذه المفاهيم؟

ج: كما ذكرت لك سابقاً، فإن علماء المسلمين يواجهون كل عصر من منطلق الإنسان نفسه بما يقدم الحلول لمشكلات ذلك العصر، فمثلاً: الأمة المسلمة لم تواجه في تاريخها مشكلة الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وأصول حل هذه القضية موجودة في كتاب الله ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾ ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾ وغير ذلك، وتحدث علماء العقيدة في كتبهم سابقاً عن هذه الحادثة، لكنها لم تكن نازلة لها هذه الضخامة في حياة الأمة إلا في العصر الحديث بعد أن جلى الاستعمار الغربي وخلَّف القوانين الوضعية مكان الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين، فبرزت كقضية وحادثة وكنازلة، انبرى لها علماء المسلمين لبيان حكم الله في هذه القضية وكيفية حلها، وكان من أوائل من تحدث عنها بإسهاب سماحة مفتي الديار السعودية سابقاً العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله في رسالته الشهيرة "حكم الشرع في تحكيم القوانين الوضعية» وتحدث عن ذلك غيره، ومن أشهرهم سيد قطب رحمه الله. هذا هو السبب في بروز هذه القضية.

وفي قضية الجاهلية، فالكلام حول أنها لم تكن بارزة في حياة المسلمين سابقاً ليس صحيحاً، بل إن الجاهلية كانت سابقة للإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لأحد أصحابه الذي خرجت منه بعض الأقوال التي لا تتوافق مع الإسلام وقيمه قال له إنك امرؤ فيك جاهلية، وهذا موجود في القرآن، وفي التاريخ نقرأ عن الجاهلية وأدبها وتاريخها، فكل ما خالف الإسلام فهو جاهلي، لكن الخطأ أن بعض الناس يظن أن إطلاق كلمة الجاهلية تعني الكفر، وهذا ليس بصحيح، بل كل ما خالف الإسلام جاهلية، وقد يكون كفراً وقد يكون معصية.

س: أفرزت الصحوة الإسلامية حركات انتقلت من المشروع الاجتماعي والنهضوي إلى حركات سياسية، ما هي بتقديرك أسباب هذا التحول؟ وعلى عاتق من تقع المسؤولية في إصلاح هذا الأمر وإعادته إلى سياقه الطبيعي؟

ج: أحب أن أشير في هذا الميدان إلى عدة قضايا وعدة أمور، الأمر الأول أن الإسلام اجتماع وسياسة واقتصاد وتعليم وإعلام، كما أنه عقيدة وعبادة، فالإسلام دين شامل لجميع قضايا الحياة، ويجب أن يكون حكم الشرع في جميع هذه الجوانب المختلفة في حياة المسلمين، وبالتالي فإن من ينادي بالإسلام كحل لمشكلات الأمة ويقدمه للأمة في مواجهة المناهج التغريبية على اختلاف ألوانها وأشكالها، فإنه يقدم الإسلام والسياسة جزء منه، والمصطفى صلى الله عليه وسلم كان هو الحاكم والقاضي والقائد والمعلم والمفتي والإمام في المسجد وفي جميع هذه الجوانب.

إن كثيراً من الناس استوردوا مفهوم الدين من الغرب كما استوردوا جميع المفاهيم للأسف الشديد، والدين النصراني المحرَّف في الغرب لا صلة له بالحياة ولا بالسياسة، والمبدأ الشهير عندهم "دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر" لقد تم استيراد هذا المفهوم وحاولوا تطبيقه على الإسلام، وهذا مفهوم خاطئ والإسلام يختلف عما في الغرب اختلافاً كلياً.

ثانياً: الإسلام، وكما يحاول بعضهم أن يشتطوا ليس السياسة فقط، بل المشروع السياسي هو جزء من كل وثمرة لما يسبقه من إصلاح اجتماعي وإصلاح فكري وثقافي، ثم ينتج كل هذا إصلاحاً سياسياً على مستوى الأمة، فالمفترض أن تسبق المطالبة بالإصلاح السياسي مطالبة وسعي لإصلاح المجتمعات وإصلاح الفكر والأدب والفن، وقبل ذلك العقيدة والأخلاق، وهذا سيثمر تلقائياً إصلاحاً سياسياً تنشده الأمة في حياتها.

ثالثاً: نجد أن الكثير من الممارسات السياسية التي فُرِضت على الإسلاميين في بعض البلدان إنما رسَّخها في الساحة كقيم وأعراف سياسية ممارسة التيارات السياسية على اختلاف توجهاتها، والإسلاميون جزء من الأمة فأتوا ليشاركوا ضمن هذه الأُطُر والأعراف التي وضعت. إذن هم لا يتحملون تبعاتها وحدهم، بل هم جزء من الأمة التي رضيت بهذه الأعراف وبهذه القيم، لكن قبل السياسة كما قلت العقيدة والعبادة وهي الأهم.

س: دعني أتوقف معك هنا، يقال: إن القفز على المراحل التي ذكرتها الآن كان السبب الرئيس في المعضلة الحاصلة بين النخب السياسية الحاكمة في البلدان العربية وبين هؤلاء الإسلاميين المشتغلين بالسياسة ألا توافقني؟

ج: الواقع أن الحكومات في كثير من البلدان الإسلامية ينبغي أن تصطلح مع الله سبحانه وتعالى، والمفترض أن تبادر إلى تطبيق الإسلام المنادى بتطبيقه من قبل آخرين، وألا ترضى لنفسها أن تقف في مواجهة المناداة بتطبيق الإسلام، ولعل ما تعيشه هذه البلاد (السعودية) من أمن وتواؤم وتوافق بصورة كبيرة يعود إلى أن المشروعية لتي قام عليها النظام السياسي والتشريع الذي تحتكم إليه المحاكم هو شريعة الإسلام، ولعل الحكومات في البلدان الإسلامية الأخرى تعتبر من هذا وتتعظ وتحاول أن تستفيد من هذه الإيجابية الموجودة لدينا.

ثانياً: أقول إن الإسلاميين جزء من الأمة، فإذا أُتيح لطوائف الأمة المختلفة الأخرى أن تطرح مشروعها السياسي فمن حق الإسلاميين أن يطرحوا مشروعهم السياسي؛ وإن كان من المفترض ألا يكون في الأمة غير المشروع الإسلامي السياسي، وأن يكون الاجتهاد والاختلاف في إطار هذا المشروع. لكن أن يُسمح للأحزاب الشيوعية بأن تتكون في بعض بلاد المسلمين، أو للأحزاب العلمانية الصرفة أو التغريبية ولا يُسمح للأحزاب الإسلامية أن يقيموا حزبهم، أظن أن هذا أمر نشاز ومخالف لطبيعة الأشياء وصدام مع سنن الله التي أقام عليها المجتمعات.

س: هؤلاء الخصوم يتكئون على أن دخول الإسلاميين في مثل هذه المشاريع السياسية وهذه الانتخابات أو غيرها إنما هي مرحلة تكتيكية ما يلبثون بعدها أن ينفضوا أياديهم عنها عندما يصلون إلى سدة الحكم فيقلبون هذا النظام أو ذاك رأساً على عقب، ودعني أستدعي مشكلة الجزائر تدليلاً على قولي؟

ج: نحن الآن نسمع حجتين، نظام قائم يستخدم الحديد والنار ويصادر حريات الناس ويرفض إرادتهم ويُفصِّل القوانين كما يريد؛ وحركات مستضعفة يقال إنها إذا وصلت للحكم ستفعل وتفعل، إن أعلنوا هم ذلك فسيؤاخذوا عليه، وإن لم يعلنوا فالقلوب والنيات علمها عند الله سبحانه وتعالى والأولى باللوم من يمارس الخطأ الآن لا من يتوقع أن يمارسه في المستقبل، وظني أن الأنظمة والحكومات التي تتعامل مع شعوبها بالحديد والنار هي التي تجعل من هذا الأسلوب سوابق سياسية راسخة، والمجتمعات يصعب انتزاعها بعد ذلك منها.

س: في الحقيقة إنما تقوم به بعض الحركات الإسلامية في الجزائر فيه الكثير من الفظاعة بحق مواطنين أبرياء. نقلت ذلك التقارير وشاهدنا بعيوننا ذلك على شاشات التلفاز، وبطبيعة الحال هناك اختلاف على قضايا عديدة تصل إلى حد التباين بين ألوان الطيف الإسلامي (جماعات وحركات).. هل هناك أجندة عامة تنظمهم، ألا ترى معي أنه من الظلم أن يتحمل الباقون تطرف فئة قليلة ويدفعون حياتهم ثمناً لتطرفها؟

ج: بلا شك، المنهج الشرعي في قوله تعالى: ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾، وبالتالي لا يجوز أن يُحمَّل أحد جريرة وتبعة فكر غيره إذا اشتط وغلا وبعُد عن الجادة.

وينبغي أن ندرك حقيقة الظروف والملابسات التي أدت إلى ظهور وبروز مثل هذه الأفكار والممارسات في الساحة، وهي أسباب متعددة، مثلاً: السجون والمعتقلات والتعذيب التي فاقت جميع الصور المُتخيَّلة في كثير من بلدان المسلمين، مثلاً الغلو والعلمانية المتطرفة في فرض العلمانية ومحاربة الإسلام، مثلاً: الفساد المالي والإداري المنتشر في الكثير من البلدان، والفساد الأخلاقي وعدم تحكيم شريعة الله سبحانه وتعالى وغير ذلك من الأسباب هي ستفرز حتماً ثمرتها المرة وهي التطرف والغلو والإرهاب، لكنه يبقى مع ذلك كله منهج شريحة محدودة جداً في داخل الصف الإسلامي، بينما الجسم الرئيس من التوجه الإسلامي في العالم كله هو توجه سلمي يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع ما يلقاه من صدود وإعراض وتجاهل ومصادرة، والخلافات أيضاً - يا أخي الكريم - منها ما هو خلاف سائغ له أسبابه الشرعية التي ينبغي تحملها من بعضنا لبعض ومنها ما هو خلاف غير سائغ وأسبابه أيضاً معروفة، وينبغي معالجتها باستبعاده من الساحة، والغلو والتطرف مرفوض تحت أي مبرر جاء ومن أي جهة صدر.

*****

الصحوة الإسلامية في السعودية

س: اسمح لي الآن بأن أسحب المكاشفات إلى أمر الصحوة الإسلامية في السعودية، حيث يقال إن هذه الصحوة تتميز بفوقية فجة على باقي الصحوات في البلدان الإسلامية، وتعتبر نفسها محتكرة حق.. كيف تنظرون إلى المسألة؟

ج: قد يكون هذا في شرائح قليلة من الصحوة لدينا، وقد يكون سبب هذه المشاعر ما يعيشه مجتمعنا - والحمد لله - من تميز في التزامه بالإسلام على المستويين

الرسمي والشعبي سواء في التحكيم والتشريع والتنظيم أو في الممارسة والتطبيق والأعراف الاجتماعية. قد يورث هذا بعض الناس إذا ما انتقلوا للبلدان الأخرى ورأوا التفسخ والإباحية وعدم الاحتكام إلى شرع الله تورثهم هذه المعاني شيئاً مما ذكرت، لكن الذي أعلمه من علماء هذه البلاد ومن جمهور الصحوة ومن طلبة العلم والدعاة والجماهير الملتزمة بدينها أنهم يرون أنفسهم جزءاً من الأمة الإسلامية، يسعهم ما يسعها، وأنهم إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولا أدل على ذلك من أن هذه البلاد - والحمد لله - بما فيها من الأبرار والأخيار وهم الأكثر إن لم يكونوا هم الجميع، ما من قضية إسلامية أو كارثة حلت بشعب من الشعوب الإسلامية إلا وكانوا الأسبق إلى مواساة جراحه والوقوف معه ونصرته بالنفس والمال والإعلام وعلى جميع المستويات.

وأمر آخر هو أن علماء المسلمين الذين عاشوا بين أظهرنا ودرسوا في كلياتنا ومساجدنا وما زالوا، تتلمذنا عليهم والحمد لله، وما رأينا في ذلك غضاضة، وأقول وربما لأول مرة يحصل أن بعض العلماء الذين ولدوا وعاشوا وتعلموا في البلدان الأخرى عندما جاؤوا إلى هنا أصبحوا أعضاء في هيئة كبار العلماء وأضرب مثالاً: بالشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله والشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله.

س: هناك من يقول بأن أساليب ومناهج التربية التي يتبعها المربون والدعاة في السعودية ما تزال كما هي منذ عقود حتى كادت أن توصف بالجمود، ألا ترى أنه آن الأوان لكي يتنبه هؤلاء الإخوة إلى هذا الأمر وإلى أن الأجيال الجديدة هي غيرها بالأمس؟

ج: بلا شك هناك خلل في وسائل ومناهج وطرائق التربية سواء على المستوى الرسمي في المدارس أو على مستوى الممارسة الشعبية في وسائل التوجيه الأخرى، والغالب على أذهان الممارسين للتربية أن التربية هي التلقين، والتلقين

أحد وسائل التربية لكنها ليست الوسيلة الوحيدة، فهي تربي جانباً واحداً من جوانب الشخصية هو الجانب العقلي، لكن الجانب الإيماني الوجداني الاعتقادي العاطفي للتلقين فيه دور محدود، والجانب الشعائري التعبدي مثل ذلك، والجانب الأخلاقي والجانب السلوكي كذلك.

هذه الجوانب المختلفة في شخصية الإنسان لا بد أن يوجد لها من الوسائل والأساليب والطرائق ما يجعل التربية متكاملة في جميع الجوانب، أما أن نخرج مثقفاً ذا ثقافة عقلية ليس لها أي انعكاسات في إيمانه ولا في معتقده وسلوكه وخلقه ولا في عباداته فما نكون قد قدمنا للأمة شيئاً: ولو عدنا إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يطبقه أصحابه كما ذكر عبد الله بن عمر من أنهم كانوا يتعلمون أو يحفظون عشر آيات من القرآن الكريم ثم يتعلمون ما فيها من العلم ثم يطبقونها ثم يعودون لتعلُّم غيرها، قال: "فتعلمنا الإيمان والعلم"، وأثمر ذلك السلوك والأخلاق والمعاملات السليمة. أقول أيضاً: إن وسائل التربية الحديثة التي فيها كثير من الإيجابيات التي هي نتاج تجارب إنسانية يمكننا أن نستفيد منها، وبالتالي أرى أن يُعاد النظر في طرائق التربية على المستوى الرسمي والشعبي والشخصي، وربما تكون الفروق بين داعيتين ليس كثرة العلم ولا كثرة الإلقاء بل هو في استيعاب جوانب الشخصية المتعددة في المدعو والمربي والقصور في ذلك.

س: أثار الموقف من قضية المرأة السعودية العديد من ردود الأفعال، وظهرت مواقف متشنجة تبناها التيار الإسلامي، وحتى أكون دقيقاً أقول التيار المحافظ، وهي مواقف لم تستند إلى أُسُسٍ شرعية خالصة بقدر ما استندت إلى أُسُسٍ وتقاليد اجتماعية قبلية، فسر لنا طبيعة هذا الموقف وإلى أي درجة هو محق؟

ج: الواقع أن التقاليد والأعراف والعادات القائمة يقف الناس منها على ثلاثة مواقف، أناس يقدسونها جملة وتفصيلاً؛ وهذا موقف ليس بسليم، وأناس

يرفضونها جملة وتفصيلاً وبحجج مختلفة قد تكون متناقضة تماماً؛ وهذا أيضاً ليس بصحيح، والموقف الثالث ما كان منها حقاً وما كان مفيداً فهذا يعتد به، وما خالف الحق والمرجعية التي أشرنا إليها في بداية اللقاء فنحن لسنا ملزمين به، وإذا ما ثبتت مخالفته للحق رددناه، وإذا ما ثبت ضرره حتى وإن كان مباحاً اختيارياً تركناه، فنحن فقط ملزمون بما دل عليه الكتاب والسنة وبما أصبح ضرورة اجتماعية لنا.

وقضية المرأة إذا ما طبقنا هذا الحديث عليها نجد من الناس من يسعى لإخراجها من منزلها ومن عشها الذي عليه درجت، وخلع حجابها وعفافها وإلقائها في الفتنة بحجة تحريرها وعدم تعطيلها واللحاق بركب المرأة في العالم، وهذا موقف خاطئ بلا أدنى شك. ربما إن دعوات تحرير المرأة التي انطلقت من الغرب لها ما يبررها هناك؛ لأن المرأة كانت ممتهنة في الغرب إذ في الديانة المسيحية يقررون بأن المرأة ليست بإنسان، ويرون أن من علامات الطهر عند رجل الدين ألا يتزوج في حياته ولا يقترب من المرأة، وفي بعض البلدان الأوروبية لم تُعط المرأة حق التملك إلا في الثلاثينيات من القرن الماضي، بل إن الحضارة الأوروبية قائمة أصلاً على فكرة الصراع وليس فكرة الوئام. الصراع بين الإنسان وبين الكون والصراع بين شرائح المجتمعات المختلفة. البروليتاريا ضد البرجوازية ضد الإقطاع، وهكذا الصراع بين الرجل والمرأة، بينما عندنا نحن الوضع مختلف تماماً؛ إذ النساء شقائق الرجال، وخلق منها زوجها وجعل بينهم مودة ورحمة، وجعلها سكناً له؛ فالعلاقة عندنا بين الرجل والمرأة هي علاقة الحب والوئام والتكامل لا التناقض والصراع، والنبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن الجنة تحت أقدام الأمهات، وأن خيركم خيركم لأهله، وصلة الأرحام وتربية البنات من وسائل دخول الجنة.

فالجذور والأسس التي يقوم عليها المنطلق الحضاري لقضية المرأة كقضية اجتماعية في الثقافة والحضارة الغربية غير الأسس التي تقوم عليها في الثقافة

والحضارة الإسلامية، وبالتالي لا يرى الرجل أصلاً أن هناك صراعاً بينه وبين المرأة، بل إن المسلم يرى أن الإحسان للمرأة والقيام بحقوقها من أعظم القرب لله سبحانه وتعالى.

وأقول إنه يجب أن يكون للمرأة دورها الفاعل في المجتمع لكن بضوابط الشرع وفي إطاره ومن خلال الرسالة التي جعلها الله لها في المجتمع، وقد جعل الله للرجل رسالة وللمرأة رسالة، ورسالتيهما جزء من رسالة المجتمع المسلم الكلية التي يقوم بها في الشهود الحضاري على البشرية.

المرأة يجب أن تؤدي دورها كنصف للمجتمع دون معارضة، والرجل لا يستطيع أداء دور المرأة، فهو لا يستطيع أن يكون أماً ولم يخلقه الله لذلك أصلاً، وقضية الرجال يتعامل معها الكثيرون على أنها قضية سيد فقط، بينما هي في الحقيقة ذات معانٍ أخرى أبعد من ذلك، فهو أولاً: حكم شرعي يستند على عقيدة جاءت من عند الله سبحانه ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

ثانياً: هي ثبت ونَفَسٌ لحضارة وتاريخ، حضارة العفاف والطهر في مقابل حضارة الإباحية والتهتك الذي نراه الآن في كثير من المجتمعات البشرية، وهذه المعاني هي شعار لأمة، وشعار لمنهجها الذي تقوم عليه، وينبغي أن نفهم قضية المرأة في هذا الإطار ولا يجوز لنا مصادرة حقها الذي جعله الله لها، ولا ينبغي أن نسمح لمن يريد أن يخرج أعراضنا لتداس كما تداس أعراض كثير من الأمم الآن.

س: هذا الكلام ربما أجمعت عدد من الشرائح والنخب على أحقيته وصدقه، وعلقت هذه النخب على كثير من جوانبه بالإيجاب، ولكن يظل الخلاف على التفاصيل يراوح مكانه، فمثلاً في قضية الحجاب ثمة خلاف قائم حول معنى الحجاب، وهل ينبغي ستر الوجه كاملاً أم يجوز الاكتفاء بستر الرأس وإظهار الوجه، والسائد عندنا هو الحجاب الكامل بطبيعة الحال، وتقوم الدنيا ولا تقعد اذا ما

اختارت امرأة سعودية الرأي الشرعي الآخر. وهناك قضية أخرى ما تزال مثارة وهي قضية قيادة المرأة للسيارة وأيضاً مسألة الرياضة في مدارس البنات، وهاتان القضيتان مشتعلتان بشدة هذه الأيام، وواضح أن الموقف من ذلك يستند في كثير من جوانبه على تقاليد اجتماعية أكثر منه على أُسُسٍ شرعية، كيف تنظر لكل ذلك؟

ج: فيما يخص قضية الحجاب هي قضية خلافية من قديم تاريخ الأمة ولا يمكن أن يُحسَم الخلاف فيها، فهي من القضايا الخلافية، أنا أرجح أن الحجاب هو تغطية الوجه لكني لا أصادر حق الغير في أن يقتنع برأي آخر قال به علماء المسلمين قديماً أو حديثاً، لكني أود أن أشير إلى عدة أمور في هذه الجزئية.

أولاً: إن العلماء الذين قالوا بأن الحجاب في تغطية الوجه أو في كشفه اتفقوا على أن الأفضل هو تغطية الوجه والسترة.

ثانياً: إنهم اتفقوا على أنه إذا خُشيتْ الفتنة أو ظُنَّ أن هناك فتنة لا يجوز كشف الوجه (من باب سد الذرائع).

الأمر الثالث: أنه إذا كُشِف الوجه يقول بعضهم إن المرأة وقعت في مُحرَّم ومنهم من ينفي ذلك، وإذا غُطِّي الوجه وسُتِر فالجميع متفقون على أنها فعلت شيئاً مشروعاً.

هذه المعاني استصحبناها عند بحثنا للقضية لتخف بها المعركة، فمثلاً عندما آتي إلى مجتمع من مجتمعات المسلمين فيقرر علماؤه أن المسألة خلافية، وفيها كذا وكذا، ونحن نرجح رأي كذا، وهذا المجتمع يطبق ما يتفق العلماء على أنه الأفضل والأولى والأكثر عفافاً؛ حتى إن بعض العلماء الذين يرجحون جواز كشف الوجه لا يرضون ذلك لنسائهم؛ لأنهم يختارون الأفضل لنسائهم، فأتينا إلى هذا المجتمع الذي يمارس هذا الأمر فيجعل بعضهم قضيته هي أن يستنزل المجتمع من الأفضل إلى المفضول، ويقول: لم تنكرون علينا لمسألة خلافية وهو الذي أشعل الأمر بمسألة خلافية.

وأقول إنه يجب أن يكون في المسائل الخلافية من الآداب والضوابط ومراعاة المآلات واعتبار المقاصد التي تؤول إليها ومقاصد من يقفون وراءها ما يجعلنا نتريث كثيراً عند بحثنا مثل هذه المسائل.

أما قضية قيادة المرأة للسيارة فقد تحدث حولها كبار العلماء، وما قالوا أن القيادة ليست محرمة لذاتها لكن لسد ذرائع ما يترتب عليها. نحن نرى من المفاسد الواقعة في المجتمع مع عدم تمكين المرأة من القيادة فما ظنك إذا كانت المرأة تقود السيارة وتسافر بها وتذهب أين تشاء؟ سيكون الأمر أسوأ وأسوأ، وستتعرض لكثير من المخاطر، وبعضهم يقيس أن المرأة كانت تركب الدابة سابقاً. الدابة لا تذهب إلى ما تذهب إليه السيارة، فهي محدودة وقريبة، وكانت المرأة إذا أرادت أن تذهب بالدابة مسافات بعيدة لا تذهب إلا مع ذي محرم؛ لذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسافة يوم وليلة إلا مع ذي محرم**" مسيرة اليوم والليلة سابقاً على الدابة تقطعها السيارة اليوم في ساعة.

س: أليس الأفضل لها أن تركب في سيارتها منفردة بدلاً من أن تركب مع سائقها لقضاء حوائجها؟

ج: وهل الذين قالوا لا يجوز لها أن تقود السيارة أباحوا لها الركوب مع السائق منفردة؟ لا أحد يبيح هذا، ولا أحد يقول إن هذا جائز، أبداً وعلى الإطلاق، وإذا قالوا هذا لا يجوز فلا يعني إن هذا هو البديل.

نحن نقول: لا يجوز لمن يتق الله سبحانه وتعالى أن يجعل المرأة تركب مع السائق منفردة، إما أن يكونوا جمعاً من النسوة وإما أن يكون معها محرم، فالأخطاء لا تُعالَج بأخطاء.

س: ألا تعتقد أن الزمن تغير، إذ كيف تذهب المرأة مثلاً إلى عملها إذا لم يستطع زوجها إيصالها بسبب انشغاله، ألا ترى معي أنه ينبغي على العلماء أن يبحثوا في مثل هذه المسائل ويجدوا لها مخارج شرعية تيسيراً للناس؟

ج: ليس دور علماء الشرع دغدغة عواطف الناس والاستجابة لرغباتهم وأهوائهم. دورهم هو بيان حكم الله تعالى، وأقول إن هذا الرجل الذي يرفض أن يوصل زوجته إلى عملها بالرغم من ذلك يكلفه أقل من ساعة يقضي ربما الساعات الطويلة في جلسات السمر أو البلوت أو الكشتات، القضية إذن ليست حاجة حقيقية بل متوهمة، وإذا أراد المجتمع أن يجد حلولاً شرعية لهذه المسألة لوجد، خذ مثلاً مؤسسات النقل الخاصة التي يمكنها أن تستخدم سيارات متوسطة الحجم يقودها سائقون برفقة زوجاتهم ليوصلوا مجموعة من النساء في حي واحد أو مؤسسة أو مؤسسات متقاربة، هذا مثال واحد للمخارج الممكنة، ومن أراد المخارج الشرعية وجدها، ومن كان مقصده الأصلي إخراج المرأة من وقارها وحشمتها لن يرضيه شيء إلا أن يحقق مقصده.

س: نسمع الآن ونرى، التغيير مستمر، وهو يفعل فعله في كثير من المجتمعات التي ليس مجتمعنا بعيداً عنها، بسبب العولمة وغيرها يصيبنا ما يصيبنا منها مثلنا مثل أكثر من مجتمع، وبدلاً من أن يقوم وينادي بالتغيير ويجير لهم من أطلقوا على أنفسهم أنصار المرأة في بلادنا، وهم معروفو التوجه والتربية، ألا ينبغي أن يأتي التغيير التدريجي في المجتمع عبر المشائخ وعلماء الشرع؟ ألا يكفي ما فُقِد بسبب عدم مواكبة العصر واستيعاب المتغيرات؟

ج: أنا أقول وكما ذكرت لك آنفاً أن الإسلام يرفض الجمود كما يرفض إعطاء العادات والتقاليد غير الشرعية صفة القداسة، وقلت إن المرأة لها حقوق يجب الحفاظ عليها؛ لأن ذلك جزءاً من ديننا، والمسلم لا يرضى أن يُنتقَص دينه؛ لأن انتقاص حقوق المرأة هو انتقاص للدين، وأظن أن الذين يخالفون هذه المفاهيم قلة، كأي شريحة اجتماعية ممن يرفعون شعار الإسلام إما لقصور في الفهم أو لغير ذلك، والمرأة والحمد لله في بلادنا يجد المرء المستقرئ للواقع والإحصاءات أن أغلب المثقفات هن من الاتجاه الإسلامي المعتزات بأصالتهن ودينهن والأكثر حفاظاً على أحكام هذا الدين من الرجال.

س: يا سيدي الكريم، دعني أعيد صياغة الفكرة والسؤال، هنالك بعض الكُتَّاب يدندنون على قضية المرأة وقد أضحوا رموزاً لها في مجتمعنا بسبب دغدغتهم عواطف النساء، وربما إنهم سيذهبون أبعد من ذلك، بينما يكتفي الدعاة بالتربص بهؤلاء النسوة مشهرين لهن سيف "باب سد الذرائع" دونما التفات إلى ضرورة السعي لقطع الطريق على أولئك الكُتَّاب؛ وذلك عن طريق فهم المتغيرات المجتمعية التي طرأت ومحاولة تقريب المسافات عبر تغييرات تدريجية، أين أنتم من كل هذا؟

س: هذا السلاح يا أخي الكريم لا يُشهر دائماً، فهو يُشهر في المواقف التي ينبغي أن يُشهر فيها، ولو اتخذنا ما في الواقع من أخطاء ذريعة للتحلل من أحكام ديننا فهناك جوانب كثيرة من الحياة يمكن أن يفعل هذا الأمر فيها، ونجد أننا قد خرجنا من الدين كلية والتغيير حاصل في حياة المرأة.

الآن هنالك أكثر من ٥٦ كلية للبنان في بلادنا، ومئات المحاضرات الحاصلات على الدكتوراة في العلوم المختلفة، ومئات الآلاف يدرسون في الجامعات والثانويات، وعشرات الآلاف من النساء في كثير من القطاعات في ميادين الصحة والتعليم وكثير من المواقع. إذن التغيير حاصل، قد يكون بطيئاً ويمكن تسريعه قليلاً بضوابطه الشرعية، وقد يكون سريعاً ويمكن تبطئته قليلاً بضوابطه الشرعية أيضاً، والذي أعلمه وكما أشرت قبل قليل من أن القطاع الرئيس من حملة الفكر الإسلامي هم أنصار المرأة الحقيقيون في هذه البلاد، ويسعون إلى الحفاظ على طهرها وعفافها وعرضها وكرامتها وإعطائها حقوقها، وأنا أظن أن المرأة في هذه البلاد تتمتع بحقوق غيرها في كثير من البلاد الغربية التي يُنظر إليها اليوم على أنها المثال في التقدم، والذي يستقرئ الواقع يجد مصداق ذلك، ويكفي أن أمثل لهذا بعلاقات البر والصلة التي يحملها الرجال في بلادنا تجاه أمهاتهم وأخواتهم وقريباتهم من المحارم ونقارنه بالفقدان شبه التام له في الغرب، كما أمثل لذلك بالمساواة في الدخل في الوظائف بين الرجال

والنساء في بلادنا مما هو مفقود أيضاً في الغرب، وأذكر قبل سنتين أن امرأة ألمانية أسلمت وحدث أن حادثتني على الهاتف بسبب نشاط دعوي وكلمتني بعربية فصيحة عن واقع المرأة الغربية وهو واقع مؤلم، وقالت: إن السبب الرئيس لإسلامها هو ما قارنته بوضع المرأة في الإسلام ووضعها في ألمانيا.

س: وقضية تدريس الرياضة للبنات في المدارس الابتدائية والمتوسطة كيف تراها، خاصة وأن عدداً من العلماء اختلفوا بشأنها موافقةً واعتراضاً؟

ج: أمر طبيعي أن يحدث اختلاف في الآراء، وأنا متأكد أن الذين وقفوا ضد هذه القضية فعلوا ذلك من باب ما قد يترتب عليها، فقد يقود ذلك إلى فتح نوادٍ رياضية فيما بعد، وأن النوادي الرياضية ستؤدي إلى الاختلاط. النوادي الرياضية الخاصة بالبنين نحن نعلم ما فيها فما ظنك لو وصلت للبنات والنساء، وأرى أن هذه القضية لا يجب أن تكون قضية رئيسة ولا أن نشتغل بها كثيراً فهي قضية محدودة وأمرها سهل.

س: نريد معرفة موقفك أنت منها؟

ج: أنا حقيقة إذا نظرت إلى القضية بمفردها فلا أرى فيها بأساً. فقصد المرأة للرياضة وهي مستترة بلباس شرعي بين النساء أفي مكان لا يمكن أن يراها فيه الرجال لا أرى في ذلك بأساً على الإطلاق. أما إذا كان يُتوقع أن تؤدي إلى محاذير شرعية فإنها تبقى ليست من الضروريات، ومعروف أن المرأة عاشت سنين طويلة دون رياضة في المدارس.

س: نلاحظ أن الهوة تتسع الآن بين المشائخ والعلماء وبين شرائح المجتمع وخاصة شباب الفضائيات والإنترنت، وقد كثُر الخلاف بين الدعاة والعلماء، حيث يقال بأن الدعاة من جيلكم تحديداً هم أحد أسباب تلك الهوة؛ وذلك لأنكم تقفون موقف المتفرج، بينما توجيهات وفتاوى العلماء الذين سبقوكم - وأنا أنقل هنا

رأي شريحة كبيرة من المثقفين وبعض الدعاة - يقال إنهم لم يستوعبوا بشكل كافٍ كل متغيرات العصر والعلاقات الدولية الحالية المعقدة جداً، كذلك آليات العولمة التي نعيش عصرها أمام ذهول الشباب، وحالات الانفصام بين ما يسمع ويلقن وبين واقع الحال، كيف تردون على هذه التهمة؟

ج: إن الذي أعلمه عن كثير من علمائنا أنهم مستوعبين للعصر استيعاباً راقياً وإن تراءى للناس خلاف ذلك، فالذي يطلع على أبحاث هيئة كبار العلماء في المستجدات والنوازل الحادثة في كثير من قضايا المعاملات والقضايا الطبية، من يبحث حول ذلك سيجد أن كثيراً من العلماء في أعلى درجات الاطلاع والمتابعة؛ لذلك فإن ما يشاع عن كثير من العلماء حول عدم اطلاعهم على مستجدات العصر وقضاياه ليس في محله، وهو رجم بالغيب، وحديث عن بُعد، ولو اقترب أصحاب هذه التهم من العلماء والتصقوا بهم وعرفوا معنى حقيقتهم إذن لتلاشى الكثير من هذه التهم. أنا لا أنفيها كلية، فالعلماء بشر مثل أي بشر في أي عصر من العصور، لكني أتحدث عن الغالب، هذا أولاً.

أما ثانياً فإن طبقة الدعاة حسب علمي وهم طبقة وسطى إذا صحت التسمية لم يقفوا متفرجين باختيارهم، وإن الجهد الذي استطاعوا أن يبذلوه بذلوه وما زالوا. قد يكون هناك قصور في الوسائل، وقد يكون هناك قصور في التفكير، أو قد تكون هنالك سذاجة في الطرح، أو قد يكون هناك تبسيط في التفكير وتقدير الأمور لدى بعضهم، قد يكون كل هذا أو ذاك موجوداً لكنهم يتحركون حسب علمي في الساحة بما يستطيعون.

الأمر الثالث يخص الهجمة التغريبية وهي هجمة باطلة ووسائلها وإمكاناتها لم يمتلكها الباطل في أي عصر من العصور؛ ولذلك يقول بعضهم: إن بقاء الإسلام ودعاته كرقم صعب في الساحة العالمية مع اختلاف موازين القوى، وهو اختلاف مريع لم يجر في عصر من العصور السابقة.

هذا الأمر يعد معجزة في حد ذاته ومع ذلك فهم أسرع شرائح المجتمع إلى توظيف مستجدات العصر ووسائله وأساليبه لخدمة الدعوة، والتواصل مع علمائنا مستمر ومع الشباب أيضاً أخذاً وعطاء.

أما خلاف واختلاف العلماء فهي قضية أعتبرها تحدياً يواجه الدعوة الإسلامية المعاصرة، وأنا أرتب التحديات ترتيباً تنازلياً. التحدي الأول يكمن في داخل الدعاة والعلماء أنفسهم أفراداً وجماعات وتيارات ومفكرين، التحدي الثاني هو في داخل الجماهير المسلمة المتدينة والمتحمسة للإسلام، والتحدي الثالث في شرائح الأمة المستغربة الذين هم من بني جلدتنا ويتكلمون بلغتنا ويمموا القبلة لغير قبلتنا، والتحدي الرابع والأقل في وجهة نظري هو تحدي العدو الخارجي.

ولكن كثيراً من الناس يقلبون هذا الهرم ويلتفتون إلى التحدي البعيد وينسون التحديات الأهم مع أن القواعد الشرعية تؤكد لنا أنه إذا حصل التغيير في النفس وفي الداخل وفي الصف الإيجابي سهلت بعد ذلك جميع التحديات ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ ﴿**بلى إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا**﴾ وغير ذلك الكثير.

وإن من أعظم التحديات داخل الصف الإسلامي تحديات الاختلاف والتمزق الذي تعيشه الأمة المسلمة، وهذا يؤذن بذهاب الريح والفشل كما أخبر الله سبحانه، والخلاف لا يمكن إزالته بالكلية، بل لا بد أن يبقى كما أخبر الله في كتابه وكما وقع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الشرع جعل للخلاف ضوابط ينبغي أن يُضبط فيها فيتحول من نقمة إلى رحمة، والمفترض في هؤلاء العلماء وهؤلاء الدعاة إلى الله أن يفقهوا فقه الخلاف وأن يُفعِّلوه فيما بينهم، وألا يؤدي ذلك إلى إهدار معاني الأخوة

وحقوقها وأن يسود بينهم المنهج العلمي الرائد الرائع الذي جعله الشرع لنا لكي نتمكن به من تجاوز مضار الخلافات، فمثلاً من آداب هذا الخلاف الإخلاص لله

سبحانه وتعالى والتجرد من الهوى، ومثلاً رد الأمر عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومثلاً إحسان الظن بالمخالف وعدم اتهام نيته والطعن والتجريح في شخصه، والتزام الحوار بالتي هي أحسن، والبعد عن المراء واللدد والخصومة، والابتعاد عن الجزئية في التعامل مع نصوص الشرع وأقوال أهل العلم والدعوة، والتفريق بين مواضع الإجماع ومواضع الخلاف، واعتبار المآلات والنظر في المقاصد، ومراعاة عوارض الجهل والإكراه والتأويل وما إلى ذلك.

إذا سادت مثل هذه الآداب في حياة المسلمين سيصبح الاختلاف فيما بينهم وسيلة لإثراء حياتهم وحضارتهم.

س: درج التيار الإسلامي في السعودية على كيل النقد لكل ما هو جديد دون أن يقدم أي بديل يعتد به في مواجهة المنقود.. هل ثمة طرح "بنائي" من قبلكم غير هذا الطرح "الهدمي" المعهود منكم؟

ج: بل لنقل إن الأصل والأكثر والأشمل في الطرح الإسلامي الموجود لدينا ابتداءً من هيئة كبار العلماء وانتهاءً بأصغر طلبة العلم والدعاة في جميع الأماكن هو الطرح البنائي، وما المجامع الفقهية وما دار الإفتاء وما وزارة الشؤون الإسلامية وما جماعة الخليل لتحفيظ القرآن الكريم وما الندوة العالمية للشباب الإسلامي وما رابطة العالم الإسلامي وما الجامعات الإسلامية إضافة إلى الآلاف من الدعاة العاملين في مواقعهم المهنية من معلمين وأطباء ومهندسين وأساتذة جامعات وعسكريين الذين عرف المجتمع كله أداءهم البنائي المتميز في مواقعهم المختلفة وغير ذلك من الكثير إلا ثمرات ونماذج وصور لهذا الطرح البنائي العصري الراقي النموذج الذي يحتذى به على مستوى الساحة العالمية. وما يوجد من نقد وهدم لصور الباطل فإنما هي صور محدودة في ثنايا هذا البناء الشامخ بإذن الله سبحانه وتعالى.

س: هناك سوء تقدير في ترتيب الأولويات بحسب آراء علماء في بلدان إسلامية أخرى، والذين قالوا إن الأغاني والإسبال أعظم حرمة عندنا من الزنا والربا وتعظيم التوحيد على جلالته وإعطائه المساحة الكبيرة من التربية والتعليم على مسائل كبيرة تمر بها الأمة، هل لهذا التقدير السيئ أثر في الأزمة الناشئة داخل الصحوة وتياراتها؟

ج: أنا أولاً لا أعلم أن مسلماً يقول إن الأغاني وإسبال الثوب أعظم من الزنا وغيرها من الكبائر، لكني أقول إن بعض المنكرات المحدودة في حجمها تكون أكثر شيوعاً في المجتمع، فيكون انتشار إنكارها بمقدار شيوعها، بينما المنكر الذي هو أكبر منها وأعظم وأفظع منها في موازين الشرع انتشاره محدود وقليل، وبالتالي فلا أشغل الناس بإنكار منكر غير موجود أو محدود الانتشار.

قد يكون هذا هو الأمر، فهي في النهاية خاضعة لقضية اجتهادية، وهي تقدير مدى شيوع وانتشار المنكر في المجتمع، وهناك أمر آخر أريد أن أشير إليه وهو أن الأولويات تختلف من مجتمع إلى مجتمع، وبالتالي لا يفرض علينا الدعاة في المجتمعات الأخرى أولوياتهم التي تختلف أولوياتنا عنها، وللأمة في مجملها أولويات لكن بعد ذلك لكل مجتمع من الخصائص ما يفرض عليه أولويات خاصة، كما أن لكل داعية في كل مجتمع أولوياته الخاصة التي تنطلق من مقدار ثقافته واهتمامه وتوجهاته وقدراته ومحيطه وحاجة المجتمع إليه، وما يستطيع أن يقدمه للمجتمع فلا ينبغي أن تفرض أولويات على أولويات أخرى، ويبقى أمر أخير أشير إليه وهو قضية التوحيد، فهو أصل الإسلام الذي يقوم عليه بناء الإسلام كله، إذا سقط هذا الأصل أو اختل فلن يصلح البناء بعد ذلك، ولذا أرى أن الاهتمام به فيه مبالغة. قد يكون في طرائق الاهتمام بهذا الأمر المهم شيء من البدائية والبساطة التي لا تواكب العصر، فأنا أطالب بالتجديد والتطوير والتحديث في هذه الوسائل والأساليب.

س: دعني أسوق لك حجج هؤلاء المنتقدين وأشير إلى تلك الفتوى التي صدرت عن أكبر مرجعية علمية رسمية حول مسلسل محلي في وقت كانت فيه الأمة بأمس الحاجة لأصوات هؤلاء العلماء في قضية مقاطعة المنتجات الأمريكية مثلاً، ألا يعد هذا المثال دليلاً وتأكيداً على ما قيل؟ وأنا أنقل ما يتداول وأنزه سادتي العلماء وأعتقد بوجوب الحوار وإبراز الحقائق دحضاً للشبه؟

ج: الفتوى في المسلسل التليفزيوني قد تكون في محلها، لكن عدم الحديث عن الأقصى وقضية المقاطعة لبضائع اليهود وبضائع من يدعمهم فهذه يمكن أن يقال فيها شيء من القصور والنقص، لكن قد يكون لهيئة كبار العلماء من العذر ومراعاتهم لبعض الظروف والأمور التي نحن في حل منها مما لا ندركه نحن في هذا الجانب، فلعل لهم عذرهم.

س: عطفاً على ما سبق نلاحظ أن الفقه السائد في التيار الصحوي السعودي لا يختار من الفتاوى إلا تلك الموصوفة بالتشدد، هل لذلك التيار علاقة بالدليل أم إنه الخيار العقلي والقلبي وطبيعة الجغرافيا؟

ج: هذا وذاك، الإنسان يا أخي الكريم لا يستطيع أن يتجرد من شخصيته، فالأصل من أهل العلم والمظنون بهم أن يبحثوا عن الراجح من الدليل، وأن ينطلقوا من هذا الأصل، لكن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص في النهاية من شخصيته، فمن الناس من يميل للتيسير ومنهم من يميل للتعسير، ومنهم من تعجبه الشهرة ومنهم من تعجبه الليونة، لكنه لا يستطيع التخلص من شخصيته، والأصل من أهل العلم والمظنون بهم أن يعتمدوا على الراجح من الدليل، ونحمد الله إذ جعل في ديننا فسحة.

وهذه التهمة التي ووجهت بها في عدد من البلدان ليست بصحيحة على علمائنا، بل إن الذي أراه في كثير من الشعوب المسلمة إذا صدرت الفتوى من هذه البلاد شدوا أيديهم بها ووثقوا بها أكثر مما يثقون في فتاوى تصدر من بلدان أخرى،

وكمثال فالشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تبوأ مكانة عالمية لم تُتبوأ في الأمة منذ قرون، وأصبح حتى عند عوام المسلمين في مجاهل إفريقيا وشرق آسيا حجة، ولعل هذا يضعف من حدة هذا الاتهام وإن كان لا يقوى على إزالته بالكلية..

س: أيضاً وفي ذات السياق بكّت الشيخ الغزالي علينا وعلى فقهنا وقال: "إنه فقه بدوي" ألا ترى معي أن الجذور القبلية والريفية تتداخل كثيراً في هذا الفقه بدليل أن الحجاز يختلف عن المناطق الداخلية في الجنوب والوسطى وفتاوى المشائخ أيضاً تتباين هنا وهناك؟

ج: كما قلت لك الإنسان ابن بيئته، ولا يستطيع أن يتخلص منها، وهو محدد بظروف الزمان والمكان والتاريخ الذي عاشه، وهذا قصوره الذي كتبه الله عليه، ولكن في ضمن هذه الظروف فإن الأصل في أهل العلم أن ينزعوا إلى ترجيح ما رجحه الدليل الشرعي، والشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - على جلالة قدره في الدعوة إلى الله ومجاهدته في سبيل الله في مواجهة التيارات الباطلة الضالة فإنه في العلم الشرعي لا يساوي درجة نقده في هذا الباب، وإذا كان يقول عمن يعيشون في القرن العشرين وفي الطائرات والسيارات والمصاعد أصحاب الفقه البدوي فماذا يقول عن أبي ذر وعمر الذين فتحوا العالم وكانوا حفاة وشبه عراة؟

أرى أن هذه العبارة جارف الشيخ في إطلاقه رحمه الله، وكما قلت قبل قليل إن البيئة تبقى مهمة وذات دور، وقديماً قالوا مدرسة العراق.. مدرسة الحجاز وهذه لها ميزتها وهذه لها ميزتها وهذه تتصف بما لا تتصف به هذه وهذا أمر طبيعي.

س: البُعد الإقليمي والبيئي الذي ذكرت، لم يجنبك نقد بعض الجهات التي تصف عوض القرني بالجمود والتشدد في كل ما يصدر عنه بمجال تخصصه في أصول الفقه، هل لذينك البعدين الإقليمي والبيئي إضافة إلى تخصصك الجامد - وليغفر لي أصحابه - من أثرٍ في مواقفك الفكرية في مجال النقد؟

ج: بلا شك، فإن لهما أثراً في مواقفي الفكرية وتوجهاتي وبالذات تخصصي، فأنا أنطلق من تخصصي الشرعي وهو الأصل في كل مواقفي، ولا أنكر ذلك ولكنني أظن أيضاً ومن خلال اتصالي بالعلوم الأخرى على اختلافها فإن ذلك أوجد لدي بفضل من الله شيئاً من المرونة الفكرية وقبول التفكير في الاحتمالات المتعددة وأن أطرح على بساط البحث أكثر من وجهة نظر قابلة لأن تُتبنى هي وفي النهاية ما ترجح لديّ بالدليل والبرهان هو ما أزعم أنني وطّنت نفسي على الأخذ به.

س: هذا التشرذم والانقسام والتصنيف وهي أدواء ابتُليت بها الصحوة في بلدان عربية وكنا بمنأى عنها قبل أزمان فصرنا نسمع في ساحتنا الصحوية بالسرورية والسلفية والإخوانية والمدخلية وقائمة لا تنتهي، هل ستظل الصحوة بمنأى عن سيرورة وحتمية التاريخ التي تحكي التآكل والتلاشي؟

ج: أولاً، لا أسميها حتمية تاريخية بل أسميها مرضاً حل بجسم الأمة في مرحلة ضعفها، وقد عُرِف باستقراء التاريخ أن الأمة عندما يصيبها الضعف تتكفئ على نفسها فيأكل بعضها بعضاً، فإذا أنتشت ودبت في أوصالها القوة توجه نشاطها إلى المحيط الخارجي وامتد الإسلام تحت راياتها، فالأمة تمر بمراحل ضعف، والصحوة التي نراها محاولة لانتشال الأمة من الضعف ومحاولة للعودة بها إلى الصعود مرة أخرى، وفي طريق هذا الصعود الكثير من الجنادل والأشواك والحفر والمنعطفات والألغام فتتباين الآراء حيال هذه المشكلات التي يلقونها في الطريق أمامهم، وهذا أمر طبيعي أن تتباين الاجتهادات، لكن الأمر المرفوض شرعاً والمحذور عقلاً أن تتحول إلى عداء واختصام واحتراب، فلن يكون بعد ذلك إلا ذهاب الريح والفشل والتمزق والعار.

أما أن تتعدد الرؤى والاجتهادات ويطرح لكل اجتهاد دليله وبرهانه والممارسة هي التي تفرز الغث من السمين والحق من الباطل فليس في ذلك ضير أصلاً، وأن ينسج الناس كلهم على منوال واحد وصورة واحدة، لم يأمرنا الشرع بذلك، وقد

اختلف الصحابة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنكر ذلك عليهم، لكنه كان يرشدهم إلى الطريق الأمثل للتعامل مع هذا الخلاف على أن يبقى ذلك كله في إطار الإسلام، وأن تكون مرجعيته الكتاب والسنة، وأن يُقصد بذلك كله وجه الله سبحانه، وأن يُحتكم فيه على الدليل، وألا يُصادر فيه العقل ولا حق الغير في هذا الاختلاف.

أقول: إن المأخذ في ما أشرت إليه من خلاف واختلاف هو إهدار حقوق المسلمين ومحاولة مصادرتهم تماماً واحتكار الحق ومحاولة طبع الناس بطابع واحد، وهذا غير ممكن.

وأقول: إن الأفكار لا يمكن أن تُعالج حتى الخاطئ منها لا يمكن إقصاؤه من الساحة بالإبعاد والحلول الأمنية، بل الحل العملي الصحيح لها هو أن تتنفس جميعها في الهواء الطلق، وأن تتناقش بالحجة والبرهان والدليل، وما ينفع الناس سيمكث في الأرض، وما كان زبداً سيذهب جفاء.

س: ولكن ألا تتفق معي أن الصراعات الداخلية التي يشهدها تيار الصحوة تشغله عن أداء مهامه الأساسية في الإصلاح الاجتماعي؟

ج: هذه الصراعات من أعظم الآثام التي يقع فيها الدعاة إلى الله سبحانه، ولا يجوز لهم هذا الصراع، وهي من أعظم ما يسعى الشيطان إلى أن يظفر به من المسلمين ومن الدعاة إلى الله سبحانه، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر في أكثر من مقام أن دم المسلم وماله وعرضه حرام ولا يجوز استباحتها بأي حال من الأحوال، لكن هذا لا يعني السكوت والتغاضي عن الأخطاء، ولكن يجب أن ندعو إلى الحق وأن نحفظ حقوق الخلق.

س: وفي الأخير يا شيخنا، هل من رسالة توجهها إلى هؤلاء؟

الدكتور عبد الله التركي:

ج: لقد كنت رائداً في كل المواقع التي وصلت إليها، ونأمل أن تستمر ريادتك وإبداعك وتألقك في الرابطة.

س: الشيخ بكر أبو زيد:

ج: الفقيه العصري المتمكن الذي يتمنى محبوه أن ينزل إلى الساحة ويحتك بالشباب.

س: الشيخ عبد الله المطوع:

لقد أثبت أن المال والعلم والدعوة يمكن أن يجتمعوا وأنت مدرسة للخلق الرفيع والتواضع الجم.

ج: الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي:

زميل الدراسة ورفيق الدرب وقسيم الفكر.

س: الدكتور عبد القدوس أبو صالح:

ج: علم من أعلام الأدب الإسلامي على ثغرة انتظر المسلمون كثيراً أن تُسَد، أسأل الله سبحانه أن يعينه وصحبه ومريديه في سداد هذه الثغرة.

س: الدكتور حسن الهويمل:

ج: سهم من سهام الله أقضّ الله به مضاجع أهل الباطل، أدعو له من كل قلبي وأسأل الله له الثبات.

س: الأستاذ بكر بصفر:

ج: زميل قديم غمط نفسه وألغى دوره، ينتظره محبوه للتألق مرة أخرى.

س: عبد الله با هيثم:

ج: حرقتك وحرارتك فيما تكتب عن أمتك لا تعفيك عن أن تتلمس طريق الحق في حماسك وأن تعود إلى سرب الجماعة.

س: خصومك في تيار الحداثة:

ج: أسأل الله سبحانه أن يغفر لنا ما أسلفنا وأن يهدينا إلى أقوم سبيل.

س: الإخوة الذين بعثوا ببعض هذه الأسئلة:

ج: لهم مني الشكر والدعاء بالمغفرة والثواب، وأسأل الله سبحانه أن يتقبّل منا صالح أعمالنا وأن يغفر لنا زللنا.